الأكـراد

تاريخ شعب .. وقضية وطن

تأليـف

الكاتب الصحفى

أحمد تاج الدين

الدار الثقافية للنشر

عنوان الكتاب : الأكراد تاريخ شعب وقضية وطن
اسم المؤلف : أحمد تاج الدين
17 × 24 سم . 144 ص .
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : 2000/18394
اسم الناشر : الدار الثقافية للنشر

Al akrad
Ahmed Tag Aldien
17 x 24 cm.144 p.
ISBN: 977-339-030-6

الطبعة الأولى
1421 هـ/ 2001 م

الدار الثقافية للنشر – القاهرة
ص.ب 134 بانوراما أكتوبر 11811 – تليفاكس 4027157 – 4172769
Email: sales @thakafia.com

فهـــرس

مقدمـــة

الأكراد شعب ظلم نفسه بقدر ما ظلمه الآخرون، قضى أكثر من ٢٥ قرنًا من الزمان يبحث عن وطن وعن هوية، دفع الدم والعرق والجهد من أجل تحقيق الحلم القومى الكبير لأبنائه.. شعب أثخنته الجراح وأوجعته الصراعات الداخلية والخارجية وسرقه الزمن الذى أفلت من بين يديه دون أن يشعر.

وفى كل مرة يبعث الأكراد برسالتهم إلى العالم المتمدين الحر.. ولكن لا أحد يسمع أو يرى أو يتكلم.. رسالة تأتى من تحت الماء.. لشعب يغرق فى الكوارث والمحن والمشاكل والحروب والصراعات الخارجية والداخلية حتى عندما لا يجد هذا الشعب عدواً يحاربه يحارب نفسه، ويدخل فى صراعات طاحنة بين فصائله فى محاولة انتحار جماعية لعلها تكون طريقًا إلى الخلاص الأبدى من مشكلة تبحث عن حل منذ ٢٥ قرنًا من الزمان بدأت بالتاريخ وانتهت بالجغرافيا ثم غرقت فى السياسة.

والأكراد شعب مسلم شديد التمسك بالإسلام شديد الإخلاص والوفاء له، وقد قَدَّم الأكراد خدمات جليلة للإسلام والمسلمين وليس هنا مجال الإفاضة فى هذا الموضوع وإلا لاحتجنا إلى كثير من الكتب والموسوعات التى تعكس روح التضحية والفداء والاستبسال لدى الأكراد، ولكننا هنا نضع مجرد رءوس أقلام لإظهار العاطفة الدينية القوية لدى المواطن الكردى المسلم ومدى استعداده لبذل كل غال ورخيص فى سبيل الدين، ويكفى أن نشير هنا إلى ذلك الجهد الخارق الذى بذله أبو مسلم الخراسانى ذلك الكردى المسلم الذى تفانى فى خدمة العقيدة وعلى أكتافه أرسيت قواعد الدولة العباسية الفتية وشهد بعينيه عصرها الذهبى، وكذلك ما بذله الأمير أحمد بن مروان الكردى مؤسس الإمارة الكردية المروانية فى بلاد ميافارقين وديار بكر حيث تفانى فى الدفاع عن سلطة الخلفاء وقاوم نفوذ غلمان الترك حتى خلع عليه الخليفة العباسى القادر بالله لقب نصر الدولة وأولاه ثقته.. ولهذا الأمير وخلفائه من بعده مآثر تعد من مفاخر الحضارة الإسلامية فى بلاد ديار بكر وميافارقين وماردين وما حولها وقد أشرنا فى موضع آخر من هذا الكتاب إلى أهم علماء الأكراد فى مختلف نواحى الفكر إلى جانب الإشارة إلى عيون الكتب التى ألفها علماء أفاضل أنجبهم الشعب الكردى الباسل الغيور على الإسلام والمسلمين.

وقد تصدى الأكراد للقائد المغولى هولاكو خان فى القرن الثالث عشر عندما جاء لغزو غرب آسيا سنة ١٢٥٢م وكانت مهمة هولاكو هى القضاء على الأكراد.

وقد استطاع الأكراد قتل ٢٠ ألف جندى مغولى أمام قلعة أربيل فى أشهر موقعة انتصر فيها الأكراد على أعدائهم المغول.

وقد استبسل الأكراد فى الدفاع عن الإسلام دفاعًا شديدًا وكانت كردستان دائمًا معقلاً هامًا من معاقل الإسلام والمسلمين حيث تصدت أكثر من مرة لموجات الغزو التترى المغولى حيث قاوموا بعد ذلك تيمورلنك سنة ١٤٠٠م وعندما حل القرن العشرون واندلعت الحرب العالمية الأولى اشترك فيها الأكراد مع الدولة العثمانية المسلمة واستبسلوا فى الجهاد على الجبهتين القوقازية والعراقية رغم ما ذاقوه من بطش وقمع وهوان على أيدى الأتراك.. وبعد الحرب انقلب الأتراك على الأكراد واتبعوا معهم سياسة التهجير الجماعى والإبادة فى محاولة لفرض سياسة التتريك أو الإفناء. فاندلعت ثورات الأكراد على الجبهات الثلاث خاصة على الجبهة التركية، وقدم الأكراد آلاف الضحايا والشهداء وكتبوا مأساتهم بدمائهم.. وعقب كل ثورة كانوا يجنون الوعود الكاذبة البراقة وتبدأ الحياة دورتها من جديد.

ودخلوا القرنين التاسع عشر والعشرين فعرفوا الجمعيات السياسة والأحزاب وتشكلت من معظم القوى الفاعلة على الساحتين السياسية والعسكرية ولكن سوء حظ الأكراد كان ملازمًا لهم حيث كانت الضربات توجه لهم من كل جانب وكانوا دائمًا موضوع الرهان وثمن المقايضة فى كل المساومات بين دول المنطقة.

كانت حرب الخليج هى البوابة الكبرى التى أطل منها الأكراد على مشارف التاريخ الحديث واستطاعوا بموجبها أن يمسكوا بالمفتاح الذهبى لقضيتهم، فما أن حل عام ١٩٩١ حتى وضع الأكراد أقدامهم لأول مرة على الطريق الصحيح الذى بحثوا عنه طوال ما يقرب من ٢٣ قرنًا من الزمان.. ولأول مرة تأتيهم فرصة لم يصنعوها ولكنهم أحسنوا استغلالها والقبض عليها بيد من حديد.

والحقيقة أن الأكراد دائمًا ما يستغلون الصراعات الاستراتيجية فى المنطقة ويحولونها لصالحهم، فالصراع الأبدى بين إيران وتركيا كان المستفيد الأول منه هم الأكراد وحتى عندما تنشب الحروب بين الدولتين وتنتصر إحداهما على الأخرى فإن الأكراد هم أول من يجنى ثمار الانتصار، وعندما نشبت الحرب بين تركيا وروسيا كان الأكراد هم المستفيدون الأول، وعندما وقع الصراع الإيرانى الروسى كانت غنائم النصر فى جيوب الأكراد، وفى العصر الحديث أيضًا استفاد الأكراد من الصراع بين الشاه وحكام العراق حول منطقة شط العرب

كما استفادوا أيضًا من العقوبات الدولية التى فرضت على العراق بموجب قرارات الأمم المتحدة والتى قسمت العراق إلى ثلاث مناطق منها مناطق الحظر فى الشمال والجنوب واستطاع الأكراد أن يحققوا الاستقلال والحكم الذاتى فى مناطق الشمال العراقى التى يقيم بها ويسيطر عليها الأكراد.

لقد كانوا دائمًا يستفيدون من جراح الآخرين. فعندما جلس الحلفاء ذات يوم يقسمون الإمبراطورية العثمانية أو ما سمى بأملاك الرجل المريض، جلس الأكراد يبحثون عن نصيبهم من الوليمة.

وعندما أصبح صدام حسين فى يوم من الأيام هو الآخر رجلاً مستهدفًا راحوا ينبشون جراحه ويستفيدون من الموقف ويقتطعون شريحة من لحمه فى شمال العراق لينشئوا لهم وطنًا شبه مستقل.

ولكن بقدر ما استفاد الأكراد من تلك الصراعات الإقليمية بين دول المنطقة بقدر ما تحملوا من آلام ونكبات بسبب تلك الصراعا خاصة عندما لا يحسنون حسابات المواقف أو عندما يراهنون على الحصان الخاسر فيسقط الحصان ويسقط الفارس وتسقط أحلام أمة تسير على طريق الأشواك فى حالك الظلام.

القاهرة فى ١٥ ديسمبر ٢٠٠٠م **أحمد تاج الدين**

الباب الأول

تاريخ الأكراد

الإنسان .. والزمان .. والمكان

كردســتان

كردستان هى الموطن الحقيقى والتاريخى للأكراد على مستوى العالم، وكردستان مناطق واسعة شاسعة تمتد من بحيرة أورمية فى أقصى الشمال الشرقى إلى ملاطيه فى الجنوب الغربى بطول حوالى ٩٠٠ كيلو متر، أما عرض كردستان فيبلغ حوالى ٢٠٠ كيلو متر.

ويمكن تحديد كردستان جغرافيًا ما بين خطى ٣٤ ، ٣٩ عرضًا و ٣٧ - ٤٦ طولاً، وهو إقليم محاط بالموانع الطبيعية من السلاسل الجبلية الشاهقة الشامخة التى تحيط به من كل الجهات ما عدا الجنوب الغربى الذى يشتمل على عدة هضاب تتفجر فيها العيون وسهول ترويها الأنهار.. وبصفة عامة فإن أصلح المناطق للزراعة تقع فى الجنوب والجنوب الشرقى، فتعتمد الزراعة على مياه الأنهار حيث تقع تلك المناطق ضمن حوض دجلة والفرات وروافدهما مثل أنهار الزاب الأكبر والزاب الأصغر والخابور، وقد ساعدت الطبيعة الجغرافية لإقليم كردستان على احتفاظه بالاستقلال الذاتى وتصديه للغزاة والطامعين ردحًا من الزمن حيث أن الطبيعة الجبلية ووجود مناطق مليئة بالأحراش والغابات وقفت مانعًا طبيعيًا مما جعل الكثيرين يقولون أن الأرض تحارب مع أهلها.

ففى منطقة الشمال الشرقى تمتد مساحات واسعة مكسوة بالغابات الكثيفة الغنية التى تحيط بها الوديان الخصيبة التى تجود فيها الزراعات وبالتالى تنتشر فيها أعداد كثيرة من السكان صيفًا وشتاء موزعين على عدة قرى ومدن وحواجز، أما المنطقة الملاصقة لتركيا وإيران فتخلو من الغابات والأحراش والكلأ، وقد عوضها الله بعدة سلاسل جبلية صخرية وبركانية ذات أخاديد وهوات سحيقة مما جعل اقتحامها مستحيلاً على أعتى الجيوش وأقواها وأشدها مراسًا؛ فى الوقت نفسه تتدفق أكثر الأنهار من هذه الجهات حيث ينبع نهر الفرات بفرعيه ودجلة وروافده فى انصباب وتدفق شديد فى اتجاه الجنوب ما عدا نهر القطور المتفرع من نهر الكر الذى ينتهى مصبه عند نهر قزوين، يضاف إلى ذلك وجود بعض الأنهار الصغيرة التى ينتهى مصبها عند بحيرة وان الشهيرة وبحيرة أورمية الواقعة فى بلاد العجم.

وبصفة عامة فإن معظم أراضى كردستان تقع حاليًا فى تركيا وإيران والعراق ويمكن تحديد الوطن القومى للأكراد بأنه تلك المنطقة التى تمتد من جبال أرارات إلى جبال حمرين الفاصلة بين العراق العربى والعراق الكردى، ومن أقصى لورستان وبحيرة أورمية ببلاد إيران شرقًا إلى ولاية ملاطية بتركيا غربًا(١).

---

(١) راجع شرفنامه أو تاريخ الكرد باللغة الفارسية.

فحدود كردستان من الوجهة القومية تبدأ من زَيون Ziuen الواقعة على حدود قفقاسيا شمالاً مروراً بأقاليم أرضروم، أرزنجان، كماخ، عربكير، بهيزنى، وديورديك غربًا ثم تنعطف نحو الجنوب مروراً بحاران وجبال سنجار وتل أصفر ثم محافظات أربيل وكركوك والسليمانية فى العراق، وفى الشرق من راوندوز، باشى قـه لا عند الحدود الإيرانية حتى تنتهى بجبال أرارات.

بينما يحددها آخرون بصفة إجمالية أنها المنطقة التى يسكنها الأكراد، وهى المنطقة الجبلية الفسيحة الممتدة من جنوب شرقى تركيا وشمال وشمال شرقى العراق وغرب إيران وتمتد فى نتوء محصور فى شمال شرق سوريا، بمعنى آخر أكثر تحديداً هى الأرض الواقعة بين سلسلة جبال بونتيك والقوقاز (قفقاسيا) وخطوط الاقتراب من الخليج العربى وهضاب بلاد النهرين من جانب وجبال طوروس والهضبة الإيرانية من الجانب الآخر وهى تبلغ مائتى ألف ميل مربع، وتمتاز منطقة كردستان بشتائها الطويل الذى يسقط فيه الثلج أغلب شهور السنة وتنخفض درجة الحرارة انخفاضًا شديداً ومع ذوبان الجليد وسقوط الأمطار فى الربيع تتوافر فرص جيدة للزراعة ويعقب ذلك فصل الصيف الذى يعتدل فيه الدفء والثلج هذا هو المصدر الرئيسى لمعظم أنهار كردستان مثل كيزل أرماك والفرات ودجلة وفروعهما ثم الخابور والزاب الأكبر والأصغر وديالا وكارون[١].

ولكى نفهم جيداً جغرافية هذا الجزء من آسيا لابد من تحديده بنقطتين هامتين، الأولى جبال أرارات فى مسافة بطول يزيد على ألفى كيلو متر من سلسلة جبال ممتدة على هيئة سلسلة متصلة تمتد هذه الجبال بداية ومباشرة من الشمال إلى الجنوب ثم تظهر فروع لها وتميل بموازبة إلى جهة الجنوب الشرقى أى نحو الخليج الفارسى، وتعد أرارات مركز المنطقة الجبلية الواسعة اللوزية الشكل ورءوسها الأربعة هى الرأس الشمالية فى جورى ورأسها الجنوبية فى جولامرج ورأسها الشرقية فى شوشا ورأسها الغربية فى بايبورت ومع وجود عوارض أرضية محلية فلا يمكن لأحد أن يميز خطى السير الأصليين بين سلسلة الجبال التى تشكل هذه الهضبة.

هذان الخطان للسير ينطبقان تقريبًا على المحاور اللوزية وتشكل القوقاز الصغرى وجبال لازستان المحور الموازى لخط الإستواء، بينما الجبال التى تنخفض من سورام الواقعة بالقرب من جورى أو جولا مرج وتعبر من هذا المسار أرارات لتقطع المحور الأول بشكل عمودى،

(١) انظر كردستان أمة مقسمة فى الشرق الأوسط بقلم س. س جافان.

والجبال الواقعة بين أرارات والمعبر الجبلى كلاشين كأنها عمود حائل للمنطقة الجبلية أو هضبة أرمينية الواقعة بأعلى الأرض الإيرانية. وكلما قارنا بين الحوضين اللذين تجتمع بأولهما مياه أرمينية وتتجمع بثانيهما مياه أذربيجان نرى أن مستوى بحيرة فان بارتفاع ١٦٥٠ متراً أعلى كثيراً من مستوى بحيرة أورمية (١٢٢٠ متراً) ثم نرى أن جبال كردستان لها نفس الحالة ـ مقابل بحيرة أورمية ـ التى لسلسلة جبال الألبرز مقابل بحر الخزر غير أن النسب ليست واحدة، وتعد سلسلة جبال كردستان الشمالية مساراً غير قابل للعبور لمن يأتون من تركيا ويريدون عبورها، فممراتها الجبلية عالية كثيراً وقممها تغطيها الثلوج أغلب العام.

وفيما بين أرارات وجولامرج تشكل جبال كردستان أطراف أرض كبيرة الارتفاع هى أرمينية وبمقارنتها بأرض أكثر انخفاضًا هى أذربيجان تعد كبيرة الارتفاع وعلى النقيض فى جنوب جولامرج حيث تقع هضبة إيران التى تبدو أن جبال كردستان حفظتها بأعلى صحارى آشور ويبدو الحوض المتصل ببحيرة أورمية محدداً بنقاط مرتفعة عن سطح البحر كالتالى:

مياندوآب ١٢٨٠متراً ـ ساوجبلاغ (مهاباد الحالية) ١٣٠٠متر ـ أشنويه ١٤٠٠ متر، أورمية ١٣٢٠ متراً نفس بحيرة أورمية ١٢٢٠ متراً والجبال التى تفصل بحيرة فان عن حوض بحيرة أورمية ليس لها اسم مشترك والجبال الواقعة بطرف بين النهرين تسمى باسم قديم هو زاجروس اسم أصله يونانى فيما يبدو ولا يعرفه الشرقيون.

فإذا اتجهنا إلى إقليم اسكندرونة شاهدنا سلسلة جبال أنتى طوروس التى تبدأ فى مسافة قليلة إلى الشمال من هذه النقطة. وهذه السلسلة الجبلية خط يفصل مسار الأنهار الجارية صوب البحر الأسود عن الأنهار الجارية صوب بلاد بين النهرين وتمتد فى مجموعها فى ثلاثة أفرع نحو الشمال هى طوروس الشمالية وطوروس المركزية وطوروس جنوبى أرمينية.

وتقع منابع نهر الفرات الأساسية فى الوديان الواقعة بين هذه الأفرع الثلاثة لجبال طوروس وتشكل نهرين: الأول مرادتشاى الذى يبدأ تقريبًا من قاعدة جبل أرارات فى وادى الشكرت والآخر قره سو أو الفرات الذى يجرى من أرضروم. وتقع منابع نهر الأرس على هضبة بينجول وفى الفاصل بين مسار هذين النهرين والذى يجرى نحو الشمال بينما يبدأ مرادتشاى والفرات فى الجرى ناحية الجنوب الغربى وفى إحدى النقاط يمر مرادتشاى بالقرب من منابع نهر دجلة، ومع هذه الصفة فلا يستطيع أن يفصل عنها بشدة جدار ضخم قليل، وفى حوالى مدينة حرتبط يتخذ قراره أى يتصل النهران بالفرات ويتشكل بالتقاء هذين

النهرين بشط الفرات أقوى شريان مائى فى آسيا القديمة ويبلغ ٢٦٧ كيلو مترًا طولاً وفى بداية الأمر كان الفرات فيما يبدو يود أن يصب متابعًا اتجاهه نحو الجنوب الغربى فى البحر المتوسط لكن بما أنه يصطدم بمانع مثل جبال طوروس يلوى مساره صوب الشرق ونحو الخليج العربى.

تبدأ السلسلة الثانية من الجبال تحركها من نقطة واقعة فى الجنوب الشرقى من إسكندرونة وهذا الجبل بصفة عامة مرتبط إلى حد ما بامتداد غير امتداد جبال شمال سورية وتسمى هذه السلسلة الجبلية طوروس. ويتضح تمامًا أنها تتجه شرقًا وحين تصل بحيرة فان يتجه أحد فروعها إلى ناحية الشمال بينما يتصل فرعها الثانى ضمن دورانه حول البحيرة من الجنوب والشرق بحدود إيران بالقرب من قطور. هذا الفرع يفصل فى شرق بحيرة فان حوض البحيرة عن مجرى نهر الزاب الأكبر ويتشعب من فرع الجنوب الشرقى لجبال طوروس فرعان جديدان أيضًا بناحية الجنوب بحيث يحيطان مثل كماشة عظيمة بدجلة العليا فيفتح هذا النهر مساره نحو الجنوب الشرقى من خلالهما. وقبل أن يخرج دجلة من بين فكى هذه الكماشة ويجرى فى الصحراء يقطع مسافة أقصر بكثير من مسافة الفرات، ولكنه عوضًا عن ذلك لكى يبرر الاسم الذى أطلق عليه فى العهد القديم يسقط كالسهم من فوق القمم التى تقوى ـ ومعها أنهاره الجارية ـ تدفقه، وعلى الساحل الأيسر لدجلة ترتفع جبال جودى داغ التى رست عليها بناء على ما ترويه أساطير الشرق سفينة نوح. وأعلى من تلك الجبال جولامرج التى تشرف على الشعبة الشمالية لنهر دجلة أى على الزاب الأكبر (الذى يتصل بدجلة فى وسط مساره وليس فى أعالى دجلة) ويبلغ ارتفاع بعض قمم هذا الجبل أربعة عشر ألف ذراع (أرارات العظيم يرتفع سبعة عشر ألف ذراع)، وهكذا ندرك أى شكل يوجد عليه الهيكل العظمى لهذه المنطقة الجبلية من وجهة العلم بالجبال فبدايته الأولى فى جبال أرارات والثانية فى إسكندرونة. وهذه السلسلة الجبلية كما رأينا تشرف على حوض بحر أورمية فى الشرق وتشكل فى الجنوب نجدًا أو تلاً تتوقف بأسفله صحراء بلاد العرب[(١)].

وتضم كردستان الكبرى إداريًا ٤٦ إمارة مستقلة، أهم مدنها هى: ديار بكر، دينذر، شاريزور، لور، ارديال، هكرى، عمادية، كركيل، فيتك، حسن، كيف، تيجاموش، كهزك، ميردس، لكيل، ساسود، هيزان، قليس، شيروان، ايرزينى، ترديكان، حق، تيركول، كالى، دارد، بلنكان، بتليبس، غارزان، بوطان.

---

(١) كرد وكردستان نيكيثين ص٧٨ - ٨٤.

الأكــراد

عــودة إلى الجــذور

(١)

من الثابت تاريخيًا أن المناطق الجبلية المتاخمة لسوريا كانت تسكنها أمة تسمى الجوتو Gutu أو Gardou ومعناها بالآشورية المحارب. . وكان الجوتو على جانب عظيم من الرقى والمدنية واستطاعوا نشر حضارتهم بين الأمم المجاورة والمعاصرة لهم مثل العيلاميين والحيثيين والبابليين مستخدمين فى ذلك الكتابة المسمارية.

وقد أثبتت الدراسات والبحوث الأنثربولوجية والأثنولوجية بالأدلة القطعية وبما لا يدع مجالاً للشك أن الكرد من أصل آرى وأنهم قدموا إلى مناطق كردستان فى عهد ما قبل التاريخ، ونظرًا للتفوق الحضارى والمدنى الذى كانوا عليه استطاعوا أن يذيبوا ويصهروا شعوب المنطقة الأصليين فاندمج معهم هؤلاء السكان الأصليون بفعل الزمان. .

وإذا كانت هذه النظرية قد لاقت استحسانًا لدى كثير من المؤرخين إلا أنهم اختلفوا حول تحديد الحقبة الزمنية التى وفد فيها هؤلاء الآريون إلى هذه البلاد والمنطقة التى جاءوا منها، وإن كانت أقرب الاحتمالات التى يمكن الإرتكان إليها هى أنهم قدموا من جهة اسكندناوا فى عصر ما قبل التاريخ غير أنه من الثابت تاريخيًا ـ رغم الإختلاف بين المؤرخين ـ أن الكرد أمة من الأمم الآرية ومن الجنس الآرى الخالص وليس المخلط كما أن سكناهم تلك البلاد كان منذ فجر التاريخ.

واستطاع الأكراد ـ بعد أن صهروا فى بوتقتهم كل الشعوب السابقة على وجودهم بفعل ما لديهم من حضارة ومدنية ـ أن يحافظوا على استقلالهم طيلة فترة الإمبراطورية الآشورية ثم ما لبثوا أن انقلبوا على الآشوريين وعقدوا تحالفًا مع الميديين بعد أن اضطروا للخضوع لسلطان قيروش الذى استولى على نينوى عاصمة الآشوريين وقوض دولتهم، وقد أمده الأكراد بجيش كردى خالص ساعده على فتح مدينة بابل[1].

وقد أكد هذه الحقيقة هيردوت اليونانى أبو التاريخ الذى ذكر الجيش الكردى من بين العناصر المكونة لجيوش اكسيرس.

وإذا عدنا إلى أصل تسمية الجوتو فنقول أن هؤلاء الجوتو هم أصل أكراد الشمال والجنوب على حد سواء، فعلماء الحضارات أثبتوا أن المدنية التى قامت فى منطقة كرمنشاه

(١) الإنسكلوبيديا الإنجليزية، دائرة المعارف الألمانية، دائرة المعارف الفرنسية.

وهمذان هى من نوع نفس المدنية التى خلفها الجوتو فى الشمال فى كاردوكيا وميديه وفى آشورية لأن قبيلة الكلهر الحاليـة تعتقد ـ وتؤيدها الآثار التى تم العثور عليها فى تلك المناطق ـ أنها من نسل (جودرز) وهذه الكلمة معناها زعيم الجوتو كما أن الجوران يؤكدون أنهم من ذرية جودرز بن كيو الذى كان له ابن يسمى (رحام) أرسله بهمن الكيانى لتخريب مدينة بيت المقدس وأسر ما بها من اليهود. . ورحام هذا هو المعروف لدى المؤرخين العرب بنبوخذ نصر الذى تولى العرش فيما بعد وسمى خلفاؤه من سلالته من الملوك بالجوران وقد وجدت له نقوش على أحجار قصر شيرين.

الأمة الكردية تتفرع من شعوب أربعة هى: كرمانج وكوران ولور وكلهر، وهم من أقدم الشعوب الآرية التى أقامت مدنية وأنشأت حضارة زاهرة أرست قواعدها فى هضبة إيران والبلاد المحيطة بها وقد استطاعت أن تفرض سطوتها وتبسط نفوذها على القبائل الآرية الأخرى وفرضت لغتها الكردية لغة عامة تستخدمها جميع القبائل والأمم فى تلك الإمبراطورية الممتدة من منابع دجلة والفرات حتى خليج العرب وعاصمتها «آكباتان» بالقرب من كرمانشاه، وقد أطلق على اللغة الكردية لغة البهلوان أى لغة الأبطال أو المحاربين كما قلنا، وتؤكد المراجع الفارسية التى تحت أيدينا أن كلمة كرد معناها فى الفارسية البطل أو المحارب أو الشجاع، وقد أكد الفردوسى فى كتابه الشاهنامه أن جميع القبائل الكردية فى مختلف أنحاء كردستان يعرفون أن لفظ كرد وجمعها أكراد لم تطلق على هذا الشعب إلا لما عرف عنهم من الشجاعة النادرة والبطولة الفائقة التى امتازوا بها منذ فجر التاريخ[1].

ومما يؤكد أن الكرد قوم آريون أن دينهم الرسمى قبل اعتناقهم الإسلام كان (الزرادشتية) التى لم تنتشر إلا بين الأجناس الآرية.

ورغم كل هذه العصور الزمنية فلا يزال هناك من يدينون بالزرادشتية فى مناطق كردستان، وإن كان عددهم لا يتجاوز بضع مئات.

ومن المعلوم تاريخيًا أن الدين الإسلامى قد انتشر فى كردستان على يد خالد بن الوليد وعياض بن غنم.

ورغم أن الأكراد لم يكونوا فى يوم من الأيام أمة مهملة أو بعيدة عن مسرح الأحداث التاريخية إلا أن الغموض العفوى أو المتعمد قد لازمهم وأصبح تاريخهم محاطًا بشىء من اللبس أو السرية أو التعتيم لدرجة تجعل كثيرًا من الطرق مسدودة أو شائكة أمام كثير من

(١) انظر المقدمة العربية لكتاب شرفنامه الفارسى ط. القاهرة سنة ١٩٣٠.

الباحثين الذين يتناولون تاريخ الأكراد سواء لنقص الكتب والمراجع والأسانيد التاريخية أو لوجود كثير من التناقض بين هذه الكتب والمراجع واضطراب بعض النظريات التاريخية.

ورغم ذلك فهناك نظريتان فى أصل الأكراد هما أقرب النظريات معقولية:

الأولى : هى ما ذهب إليه بعض المستشرقين بانتساب الأكراد إلى منظومة زاجروس باعتبارهم من الجنس القوقازى (قفقاسيا) وأن تاريخهم يبدأ مع ظهور السومريين والأكاديين وأنهم لعبوا دورًا سياسيًا فى ظهور الآشوريين القدماء.

الثانية : ويتبناها جزء آخر من المستشرقين فيؤكدون أنهم ينتسبون إلى عناصر آرية أو (هندوأوربية) هاجرت منذ ثلاثين عصرًا قبل الميلاد نحو زاجروس ومن ثم إلى شرقيها وغربيها واندمجت مع بقايا أهالى زاجروس وكوردستان الأصلية وشكلت هذه الهجرات الطبقة الثانية لمنظومة زاجروس المسماة بالآريين الذين يرجع إليهم أصل الأمة الكردية، ورغم ذلك فهناك علاقة متينة بين الأكراد وبين منظومة زاجروس الأولى كما يؤيد ذلك بعض علماء التاريخ الذين يؤكدون أنهم من أقوى العناصر المهاجرة إلى زاجروس وكردستان وكانوا من الماديين واحتلوا شرقى بحيرة أورمرية، وسواء كان هؤلاء الوافدون هم من القوقاز أو من أصول آرية فإنهم على كل الأحوال مرتبطون إرتباطًا وثيقًا بمنظومتى زاجروس الأولى والثانية.

فمن منظومة زاجروس الأصلية أو الطبقة الأولى كان الفرع الأول للأكراد اللولو (lullu) وظهروا فى منطقة زهاو - السليمانية العراقية حاليًا - وإن كان لا يعلم بالضبط تاريخ نزوحهم إلى تلك المناطق ولكن من المسلم به أن اللولو اختلطوا مع الكوتى - جوتو - وعاشوا مدة طويلة فى منطقة السليمانية.

وتؤكد هذه النظرية ظهور حفريات كركوك الأخيرة واكتشاف وثيقتين هامتين، إحداهما فى مضيق كلور فى جبال قره داغ الواقعة فى لواء السليمانية تعود إلى نارام الملك الآكادى، والثانية فى زهاو وتعود إلى آننو بانينى ملك لولو فى العصر من ٢٧ إلى ٢٨ قبل الميلاد وكلتاهما تؤيدان هذا القول[١].

وإذا راجعنا الوثائق التاريخية المتعلقة بعهد الملك آشور ناصر بال الثانى لظهر لنا أن بلاد (لوللو) كانت على جانب كبير من الحضارة والمدنية والتقدم وأنها كانت عامرة بالصناعة حتى أن الملك الآشورى كان يستعين بخبراء من تلك البلاد فى مشروعاته المعمارية فى بلاده

---

(١) تاريخ الشرق القديم ص١٨٦.

آشوريا وأن أحد ملوكهم وهو لاسيراب الذى كان معاصراً لسارجون الملك الآكادى الشهير يؤكد أن أحفاد هؤلاء اللولو يعيشون بين ظهرانيهم مكرمين.

أما الطبقة الثانية من منظومة زاجروس فتقول أن كوتى Cuti أو الكوتيين هم من منظومة زاجروس أيضًا، وأن هؤلاء قد استولوا على بلاد سومر وآكاد وحكموها مدة طويلة وأن الجيش الكوتى هو الذى هزم نارام سين الملك الآكادى الشهير وقضى على دولته وحكم الكوتيون هذه البلاد عدة قرون من الزمان وأن أناتوم الذى حارب العيلاميين العصر ٣٠ قبل الميلاد وهو أول ملك كوتى حكم هذه البلاد كما أن آننوبانينى كان ملكًا على هذه البلاد فى القرن ٢٨ قبل المسيح وأخضع الكوتيون ملوك لاكاش الجبابرة وجعلوهم تحت نفوذهم أيضًا.

وقد استمر الكوتيون ردحًا من الزمن مسيطرين على مناطق سومر وآكد ولاكاش حتى القرن ١٥ قبل الميلاد إلى أن استطاع ملك «أور» إسقاط دولتهم وذلك أثناء حكم آخر ملوكهم (تيريكان) الذى انسحب بقومه وعاش فى موطنهم الأصلى زاجروس.

بعد ذلك زحف الكوتيون ومعهم فرع آخر من منظومة زاجروس هم الكاس باللغة الكردية أو من يطلق عليهم كوشى باللغة العربية أو قصى باللغة التركية، وذهبوا إلى بلاد بابل مرة أخرى فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد.

ولكن قد يتساءل البعض هنا ما هو أصل كلمة كوتى التى كثر عنها حديث المؤرخين الذين تبنوا نظرية إرجاع أصل الأكراد إليهم وحتى نستطيع وضع إجابة أمينة ومستفيضة حول هذا السؤال سوف نستعرض ما قاله المستشرقون حول معناها.

يقول المستشرق دراور فى كتابه «الرابطة اللغوية للأسماء الكردية» ـأن كاردا، كاردوخى، كورتوخى، غوردى، كارداك وسيرتى، غوردياى، غرردوته، كاردو، كاردا، كارداويه، كاردايه، كارتاريه وكوردايپا... إلخ كلها أسماء مختلفة لأمة واحدة هى الأمة الكردية القديمة، ومن ثم يقول بأن الأكراد الحاليين هم أحفاد الـ (كاردوخوى) الذين حاربوا زنوفون وكذلك هم أحفاد (كاردا) فى لغة السومريين ولكن يظهر من لوحة الملك (آراد ـ نانار) ملك لاغاش فى الدور الثالث لحكومة أور فى القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد بأن كاردا اسم لعشيرة أو فرع من الأكراد، لذلك فإن بعض المؤرخين يقولون بين التمييز بين كلمتى كوتى وكورتى صعب جدًا لدرجة أنه يمكن القول بأن قسمًا من الأكراد الحاليين انحدروا من الكوتيين أنفسهم مباشرة.

الفرع الثالث لمنظومة زاجروس

يشكل كاسانى أو الكوشيون أو الكوشى كما يسميهم العرب Kassites الفرع الثالث من منظومة زاجروس وقد كان ظهورهم فى بداية الأمر فى منطقة كرمنشاه الحالية وإن كان تاريخ نزوحهم إلى هذه الجهات يحيطه الغموض وغير معروف على وجه التقريب ولكن من الثابت أنهم لم يأتوا إلى هذه البلاد من الخارج بل كانوا من سكان البلاد الأصليين فنزحوا إلى زاجروس بصورة تدريجية على مراحل متعددة وفى شبه هجرات مختلفة وتوجهوا إلى شرقى بلاد بابل، وقد أطلق عليهم الأكاديون تسمية (كلششو أو كلشتى) وقد ورد ذكرهم فى الكتب المقدسة باسم كوشى.. وقد استولى هؤلا الكوشى على بابل فى أواسط القرن الثامن عشر قبل الميلاد وأقاموا فى منطقتى سومر، وآكاد دولة قوية تعرف باسم (كاردونياشى) واستمر وجودها ما يقرب من ستة قرون من الزمان أى منذ ٤٠٠٠ سنة تقريبًا وقد أكدت الحقائق التاريخية أن هذه الدولة الكردية الفتية قد أعطت شعبها والشعوب المحكومة تحت إمرتها من الحريات ما لم تعطه أى دولة أخرى.

وعندما دالت هذه الدولة انسحب الكاشيون أو الكوشى إلى بلاد لورستان أى بلاد زاجروس القديمة، ومن الحقائق التى يجب ذكرها هنا أن هذه الدولة كانت تأخذ جزية سنوية من الدولة الإيرانية المعاصرة لها مقابل حق المرور من طريق [بابل ـ آكياتان] كما يهمنا القول هنا أن الإسكندر الأكبر المقدونى قد صادف هؤلاء القوم أثناء معاركه للإستيلاء على بلاد الشرق وحارب الأكراد.

الفرع الرابع من منظومة زاجروس

ويسمى هذا الفرع سوبارى Subari وكان يطلق هذا الاسم على تلك المناطق الشاسعة التى تمتد من الشمال الغربى لبلاد عيلام إلى جبل «أماتوس» الواقعة فى ولاية أطنة والتى تمر من تحتها خطوط سكك حديد [أطنه ـ حلب].

ومن ثم أصبح هذا الاسم يطلق على قسم غير قليل من القبائل الكردية القديمة.. فجزء من هذه القبائل كان قد انتشر فى وادى الرافدين وفى سوريا وفى هضبة الأناضول، ومن بينهم الهوريون والميتانيون الذين يشكلون جانبًا كبيرًا من هذه القبائل السوبارية.

والمراجع التاريخية لا توفر لنا إلا قدرًا ضئيلاً جدًا من التاريخ السياسى للسوباريين، ومما نعرفه عنهم هو أن (تبغلات بلايزهر) الأول كان قد حاصر إحدى مدن السوباريين

وهى مدينة شهريش فلقى مقاومة شديدة واستبسالاً منقطع النظير من القبائل السوبارية[1] (١١١٠ ـ ١١٠٠ ق.م).

وبعد ذلك اختفى الاسم السوبارى وظهر مكانه اسم نايرى (Nairi)، ومن المرجح أن يكون الشعب النايرى هذا فرعًا كبيرًا من سوبارى، وقد أصبح تدريجيًا يطلق على جميع السوباريين.

ومن هنا نستطيع التأكيد على أن الأكراد الحاليين القاطنين فى منطقة شمدينان ينتسبون إلى هذا الفرع السوبارى أو النايرى بعد أن اختفى من على مسرح التاريخ اسم سوبارى وحل محله تمامًا اسم نايرى الذين تمكنوا من التغلب على باقى الفروع نظرًا لقوة بأسهم وصلابتهم فى الحروب حيث احتكوا بعد ذلك بالآشوريين وشنوا عليهم غارات كثيرة وحاربوهم حروبًا طويلة كما أن منطقة نيرى (شمدينان الحالية) وجزءًا كبيرًا من هذه البلاد الحديثة هى من بقايا دولة نايرى القديمة، كما أن منطقة بوطان الحالية كانت من ضمن بلاد نايرى أيضًا التى كانت تديرها حكومة مركزية قوية مستقلة[2].

يقول المستشرق ميجرسون:

لو رجعنا إلى القرنين الحادى عشر والثانى عشر قبل الميلاد نرى أن الشعب النايرى الذى تكون من أحفاد ماد وكان يقطن الكردستان المركزى استمرت حياته أخيرًا تحت اسم الكورد وأن بلاد نايرى فى هذا الدور كانت تبدأ من أواسط حوض نهر الزاب الأكبر وتنتهى فى منابعه، وأن الماديين بعد زوال حكومتهم جاءوا إلى تلك البلاد وسكنوها.

إن تنيلات بلازر بعد انتصاره على ملك النايرى وخلفائه فى صحراء (ملازكرد) أمر بصنع مسلة تخليدًا لذكرى هذه الحروب فى منبع دجلة.

ويذكر التاريخ أن حروبًا كثيرة نشبت بين الآشوريين والنايريين وقعت إحداها فى بلاد آشور، وفى عصر تبغلات الرابع سنة ٧٤٣ قبل الميلاد ومعارك أخرى فى زمن سنحاريب بالقرب من جبال جودى الشهيرة سنة ٦٩٩ قبل الميلاد.

ويضيف ميجرسون قائلاً:

إن تنيلات بلازر وأحفاده كانوا يسمون سكان منابع دجلة والفرات وشمالى نيفاتس (طور عابدين) وإقليم ديار بكر وخربوط ودرسم الحالى وجبال تبليس وطوروس النايريين

---

(١) تاريخ آشور القديم.

(٢) إيران القديم ص٥٧ تأليف مشير الدولة.

وأن هذه البلاد هى نفس البلاد التى شوهد فيها الشعب الكوردى سنة ٤٠٠ ق.م.

فإن هؤلاء القوم هم أجداد الأكراد الحاليين وأحفاد الماديين القدماء ويستمر ميجرسون قائلاً:

عندما هجرت الأقوام الآرية بلادها الأصلية وزحفت إلى بلاد فارس وميديا وقسم من أوروبا نزح الكورد أيضًا إلى جبال كوردستان الحالية وأقاموا فيها.. لذلك نحن الإنجليز بمناسبة الشعب السكسونى نكون من أحفاد هؤلاء الأقوام الآرية ومن أقارب الأكراد، إن الأكراد يحافظون دائمًا على نقاء دمهم كمحافظتهم على لغتهم.

وعندما دالت دولة الماديين والبارسيين خضع الشعب البارسى لسلطة دولة (بارث) وتراجع الماديون منسحبين إلى المناطق الجبلية ،وأخذ تاريخهم يعرف من ذلك اليوم باسم الشعب الكوردى.

لقد واجه القائد اليونانى زنوفون هذا الشعب الباسل الشجاع وسماهم (كاردوخوى) بسبب ما لقيه منهم من شجاعة ومقاومة عنيدة فى جبال آنتى طوروس والتى تسمى الآن الكردستان المركزى وقد استطاعوا أن يوجهوا إليه ضربات قاضية أودت بحياة كثير من رجاله الأشداد حيث أن المناطق التى كان يسكنها الأكراد ظلت على مدار التاريخ مسرحًا للعديد من الحروب والمعارك الدامية التى دارت رحاها بين كبار القادة والفاتحين من الآشوريين والبارسيين واليونانيين والرومانيين والعرب المسلمين والمغول بعد ذلك كما يشهد التاريخ بكل فخر أن مقاومة الأكراد لهؤلاء الجبارين كانت دائمًا مضرب المثل فى البطولة والاستبسال، وكانت أشد من مقاومة أى شعب آخر من الشعوب المعاصرة..

والكورد هو الشعب الوحيد بين الشعوب القاطنة فى تلك المناطق الذى تمكن من الصمود أمام كل جيش مهاجم وحافظ على صفاء دمه ولغته حتى النهاية، إن للشعب الكردى ـ والحق يقال ـ مفاخر عرقية لا يمكن لأى منصف نكرانها بعد أن فصلنا واستطردنا كثيرًا فى شرح هذه النظرية التاريخية عن الأكراد نعود إلى إجمال ما فصل ولملمة ما تبعثر حتى لا تفلت الحقائق فنقول: أن تاريخ الكورد هنا وحسب وجهة النظر هذه قد مر بثلاث مراحل.. الأولى منذ فجر التاريخ إلى القرن التاسع عشر والعاشر قبل الميلاد أو إلى ظهور الماديين كحكومة منظمة.

الدور الثانى يبدأ من ظهور الماديين إلى ظهور الإسلام واعتناق الكورد لهذا الدين.

والدور الثالث يبدأ من ظهور الإسلام إلى اليوم الذى نحن فيه.

إن الأجداد الأصليين للأكراد تعود أصولهم إلى الشعوب التى تدخل ضمن منطقة زاجروس الممتدة من كرمنشاه وهمدان شرقًا إلى شمالى سوريا وجبال طوروس فى الأناضول غربًا ومن جنوب بحر الخزر شمالاً حتى حوض نهر الزاب الأكبر جنوبًا.

وظهور هؤلاء الأقوام يرجع إلى عام ٥٠٠ أو ٤٥٠ قبل الميلاد على أقل تقدير وكانوا معاصرين للسومريين والآكاديين.

* ظهر اللولو فى منطقة زهاء - السليمانية - وكان هذا الشعب على جانب عظيم من التقدم والمدنية وهم أجداد (لور) الحاليين.
* الكوتيون وكانوا مسيطرين على بلاد سومر وآكاد وقد شكلوا دولة دامت عدة قرون وهذا هو الفرع الأم الذى ينتسب الكورد إليه مباشرة حسب أقوى النظريات السائدة بين المؤرخين المعاصرين.
* الكاساى أو الكوشيون وكانوا من سكان كرمنشاه الأصليين استولوا على بلاد بابل وشكلوا دولة قوية دامت ستة قرون ثم انسحبوا إلى بلاد لورستان الحالية وأقاموا فيها حتى ميلاد السيد المسيح ثم انقطعت أخبارهم واندمج تاريخهم بتاريخ الألوار.
* السوبارى انتشروا فترة من الزمن فى وادى الرافدين وسوريا وبلاد الأناضول وقد دخلوا فى عدة حروب مع تبغلات بلايزهر الآشورى فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد ثم بدأ اسمهم يختفى ويظهر مكانهم النايرى ثم الكاردوخوى فالكورد وقد سبق أن قلنا أن الماديين الذين انسحبوا إلى المناطق الجبلية بعد زوال دولتهم وظهور دولة (بارث) كانوا قد اندمجوا بهذا الشعب واختلط تاريخهم معه وكان ذلك حوالى ٥٥٠ ق.م.

لمحة عن الدولة المادية

ونخص الماديين بالذكر لأنهم من أهم القبائل الكردية التى استطاعت أن تؤسس دولة سنة ٧٠١ قبل الميلاد، ووصلت أوج مجدها وعظمتها فى زمن (كى اقسار) وامتد سلطانها فى المنطقة من همدان شرقًا إلى قزيل ايرمق غربًا ومن بحر الخزر شمالاً إلى خليج العرب جنوبًا إلى أن سقطت على يد كورش الكبير وانقرضت باندماجها فى الدولة الفارسية، وكانت تسمى فى ذلك الوقت دولة (الأخمنس) وذلك حوالى سنة ٥٥٠ ق.م.

وبعد سقوط الدولة المادية وزوال ملكها هاجرت قبائل الماديين إلى الجبال واندمجت بقبائل (كوردنهن) وبقى قسم كبير من أمرائهم يناوءون الدولة الأخمنسية ويعلنون الثورة

والتمرد عليها إلى أن جاء الإسكندر المقدونى فقضى على تلك الدولة الفارسية.. ولكن القبائل الكردية التى كانت قد لاذت بالجبال فى منطقة كوردستان ظلت محافظة على استقلالها حتى طوال فترة حكم الماديين أنفسهم ولم يخضعوا تمامًا لدولتهم وظلوا على هذا الحال طوال الحكم البارثى فالساسانى[١].

عقب ذلك أصبحت الدولة الفارسية مع جزء من كردستان تنتقل من الولاء لدولة إلى أخرى كدولة الإسكندر ثم الدولة السلوقية فالأرمنية فالرومان، وشهدت أرضها معارك دموية دارت رحاها بين قواد روما الفاتحين والفرس والأرمن وكانت خاتمة تلك الحروب الفاجعة الكبرى التى ألمت بكردستان (شهرزور الحالى) على يد هراكليز السفاح أثناء عبوره تلك المناطق لمحاربة خسرو برويز سنة ٦٢٨ ق.م ولم ينقذ تلك البلاد إلا ظهور الدعوة الإسلامية ودخول هذه المناطق فى الدين الإسلامى.

* * *

(١) المسألة الكردية تجاه الترك ص٢٣.

عودة إلى الجذور

(٢)

اختلف الكتاب والمؤرخون كثيراً حول الأصل اللغوى أو التاريخى لأصل كلمة (كرد) التى سمى بها الأكراد.. وأشهر هذه الآراء يرجع إلى المستشرق الروسى الشهير نيكتين المتخصص فى تاريخ الأكراد والذى تابعه فيه الدكتور رشيد ياسمى المتخصص الإيرانى فى تاريخ الأكراد أيضًا، حيث تتجه نظريتهما إلى أن الكرد يعود أصلهم إلى الكردوخيين الذين قابلهم المؤرخ اليونانى القديم أكزنفون وأنهم هم أجداد الأكراد الحاليين.. وأكزنفون هذا من المؤرخين اليونانيين القدامى الذين تعتمد عليهم دراسات الشرق الأدنى فى العهد القديم، والذى اعتمد فى رواياته التاريخية على هيرودوت، وقد اتفق هؤلاء ومعهم أيضًا كنترياس المتخصص فى تاريخ إيران والهند، واسترابون العالم الجغرافى الشهير الذى ألف كتابًا شهيراً عن جغرافيا العالم القديم والمتوفى فى القرن الميلادى الأول.. وترتبط كل هذه الروايات بقصة العشرة آلاف جندى.. فما هى حكاية العشرة آلاف جندى التى رواها أكزنفون..

لقد نشب الصراع بين كوروش الصغير ابن دارا الثانى الملك الأخمينى الفارسى وخليفته فى الحكم أردشير الثانى فكوّن كوروش جيشًا بعضه من المرتزقة اليونانيين بلغ عددهم ١٣ ألفًا وقابل بهم الجيش الأخمينى فى كوتاكسا ودارت رحى الحرب عليه وقتل وتشتت جيشه وظل من اليونانيين على قيد الحياة عشرة آلاف تولى رئاستهم أحدهم وهو أكزنفون، وألف كتابًا يصف أحوالهم وأحوال البلاد التى مروا بها أثناء عبورهم دجلة إلى طرابزون ومنها إلى اليونان فى أقصى وأشهر حركة انسحاب عبر التاريخ.

ويذكر المستشرق الروسى فيكيتين فيما رواه عن أكزنفون أن هذا الأخير قابل شعبًا اسمه (قردوخا) واستدل نيكيتين بالتشابه اللفظى بين كلمتى كرد وقردوخا على أن هذا الشعب هو جد الأكراد الحاليين أو لعل أكزنفون هو الذى قطع بهذه الصلة لأنه أقدم المؤرخين الذين أشاروا إلى الأكراد.

أما الدكتور ياسمى فيؤكد أنه لم يجد إشارة إلى الأكراد إلا على مصطبة حجرية سومرية نقش عليها لفظ كردا Karada وهو اسم لمكان وليس اسمًا لطائفة أو شعب، وقد غلب هذا العالم انتساب الأكراد لإيران وأنهم شعبة من الجنس الإيرانى، وأنهم أطلقوا اسمهم على كافة القبائل الأخرى التى خضعت لسلطانهم.

هذه النسبة يقول عنها ياسمى: (إن المهاجرين الإيرانيين الذين كان يطلق عليهم أوائل دخولهم شمال النهرين التسمية المركبة (بيت قردو) ـ وهى جزيرة ابن عمر ـ أخذوا اسمهم من اسم موطنهم واشتهروا به.

ولكن هذا الرأى مردود عليه بالتناقض الوارد فيه:

أولاً: كيف يمكن أن يسمى مهاجرون إيرانيون بتسمية سامية هى بيت قردو وهى تعنى أهل قردو إلا إذا كانوا ساميين أصلاً أو اكتسبوا الحياة واللغة السامية واندمجوا فى سكان الشمال فيما بين النهرين أو جزيرة ابن عمر(١) وتنصلوا من تاريخهم وأصلهم القديمين وأصبحوا شعبًا ساميًا وسط الساميين الساكنين شمال ما بين النهرين.

ثانيًا: لماذا يحكم على بأن التسمية كرد هى الأسبق لبيت قردو ولذلك أطلقت، ولِمَ لا يكون الأمر عكسيًا وهو أن كرد تحريف لبيت قردو باعتبار أن الشعوب السامية كانت هى المسيطرة والساكنة فى شمال العراق خاصة فى عهد آشور.

أما من حيث المعنى، فإن كلمة كرد أو قردو التى يختلف النطق فيها حسب اللغات فهى تعنى الشجعان أو الأبطال وهى الصفة التى اتسموا بها طوال حياتهم مثلما يرجع الآريون تسميتهم إلى (إيريا) بمعنى النجيب أو الوفى ـ ولو صح هذا المعنى لكان الإيرانيون أولى بلفظ كرد لا سيما وأن الكلمة فارسية الأصل.. ولو كانت كلمة كرد نسبة إلى مكان لكان الفرس أولى بها أيضًا من التسمية بكلمة فارس التى معناها الأسد.

ولو تتبعنا ألفاظ الشرف والشجاعة عند الأوربيين فى الأسبانية والإنجليزية والفرنسية والألمانية فى العصور الوسطى وعهد الفروسية الغربية. لطال بنا البحث حيث لا يمكن حصر فضيلة الفتوة والشجاعة فى كلمة معينة أو فى شعب بعينه فضلاً عن خطأ اعتبار تسمية الأكراد وحدهم لإحدى الكلمات الفارسية.

فإذا عدنا إلى معنى تسمية بيت قردو السريانية أو السامية التى تقترب من تسمية أول مؤرخ ذكر الكرد وهى (قردوخا) أو كلمة كرد الفارسية عند أغلب الدارسين لرأينا أن السريانية لم تأت بجديد لها فقد ذهب ج. ب سميث فى معجمه السريانى الحديث طبعة أكسفورد عام ١٩٦٧ إلى أن قردو هم الأكراد، ولو فرض أن الجيم هى الأصل فى الكلمة فتصبح مادتها (جرد) فهى تعنى الأرض القفر الجدباء، ولا يبقى أمامنا إلا اللجوء للمعاجم العربية لمعرفة معنى قرد وليس كرد لأنها الأقرب إلى الأصل وهى نفس الشطر الأول لتسمية

---

(١) معجم البلدان: ياقوت الحموى ٣/١٠٢.

اكزنفون الأولى قردوخا وتبتعد قليلاً عن كلمة كردا التى يرفضها المؤرخ ياسمى.

يقول ابن منظور فى لسانه ص٣٤٩ جـ٤ فصل الدال عند حديثه عن مادة قرد أن القرديدة هى صلب الكلام وأن القردد من الأرض قرنه أى المكان المرتفع إلى جنب وهده، وروى عن الأصمعى أن القردد هو القف أو الجبل، وعن ابن شميل أن القردودة ما أشرف من الأرض وغلظ، وقلما تكون القراديد إلا فى بسطة من الأرض، وفيما اتسع منها فنرى لها متنًا مشرفًا عليها غليظًا لا ينبت إلا قليلاً. وروى عن شمر أن القردودة طريقة منقادة كقردودة الظهر أى سلسلته والقردد ما ارتفع من الأرض وغلظ. وروى عن سيبويه أن القردود ما ارتفع من الأرض وغلظ ونفس المعنى ذهب إليه الفيروزابادى.

فإذا طبقنا معنى كلمة قردو ووصف سفوح جبال آرارات وسلسلة جبال زاجروس حيث سكن الشعب الكردى وجدنا التطابق تامًا وكاملاً بين المعنى المعجمى العربى لكلمة قرد والمناطق الجبلية محل سكن الكرد، ولتأكد لنا أن كلمة كرد هى لفظ عربى سامى لا فارسى ولا كردى، وأن معنى اللفظ هو الجبل الذى لا يكون إلا فى سهل ولا ينبت إلا قليلاً، وإليه نسبة الساكن للسكن كما هو شائع فى اللغة العربية فى مجازها المرسل، وكما فى قوله تعالى: ﴿واسأل القرية﴾ أى اسأل سكانها[1].

ولكن إذا كانت هذه هى وجهة نظر استنباطية مستمدة من حقائق اللغة وربطها بالواقع تظل هذه الأطروحة مصطدمة بكثير من الآراء المتباينة والمتناقضة أحيانًا والمتفقة أحيانًا أخرى، لا سيما وأن المستشرقين خاصة والمؤرخين عامة لم يختلفوا على شىء قدر اختلافهم على الأصل التاريخى للأكراد، ربما عن قصد أو بدون قصد حسب الأهواء الشخصية أو الأهواء السياسية أو لندرة المراجع التاريخية أو تناقضها هى الأخرى، وسنحاول قدر الإمكان سرد هذه التوجهات دون تحيز أو تدخل منا.

* * *

(١) يراجع المشكلة الكردية تاليف حميد رضا جلائى بور ص١٥ ، ١٦.

عودة إلى الجذور

(٣)

لإن الغوص فى تاريخ الأكراد والبحث عن أصولهم العرقية يشكل للباحث كثيراً من الجهد والعناء بما يلقاه من غموض وحيرة وتناقضات بين الروايات التاريخية بعضها مع بعض إضافة إلى عدم وجود التفاصيل الكافية لإلقاء الضوء على تاريخ هذه الأمة التى يتنازعها العرب والعجم وكل منهما حاول طمس معالمها لدى تاريخ الطرف الآخر.

تقول الموسوعة العربية (الكرد شعب آرى مسلم موطنه كردستان ويبلغ عددهم حسب إحصاء ١٩٥٤ حوالى مليون ونصف يمتون بصلة إلى الإيرانيين ولغتهم مشابهة للإيرانية وتكتب بالحرف العربى أما كردستان فهى منطقة جبلية جنوب جبال أرارات مقسمة سياسيًا بين العراق وإيران وتركيا وقد شتت الأتراك فى عهد أتاتورك العنصر الكردى وفرضوا عليهم التتريك.

ويقول ل.هـ. فلورانس فى كتابه الأجناس:

(تتألف كردستان من منطقة سهلية وجبلية تتقاسمها تركيا وإيران والعراق مع مستعمرات فى القوقاز ومنحدرات جبل أرارات فى أرمينية السوفيتية. ومن الصعب الرجوع إلى قبائل الأكراد ولكن تذكر المخطوطات القديمة أن هناك شعبًا يدعى غوتو أو كوتى أصبح بعد ذلك كوتى وذلك قبل ألفى سنة من الميلاد، ويمكن الرجوع بأصل بعض القبائل إلى القرن السادس، وكانت حياتها لا تختلف عن حياة بعض الأكراد اليوم، ويقدر عدد السكان الأكراد الآن بين مليونين ونصف وثلاثة ملايين، مليون منها فى جنوب شرق تركيا، و ٧٠٠ ألف فى شمال غرب إيران، ومليون فى شمال شرق العراق. وهم شبه رُحَّل ويميلون إلى الزراعة وهم كذلك من المسلمين السُّنِّيين ويتكلمون اللغة الإيرانية.

وفى موسوعة لاروس الفرنسية نجد أن (كردستان بلاد آسيوية موزعة بين تركيا والعراق وبلاد فارس وسوريا ويقطنها حوالى ثلاثة ملايين كردى).

وفى موسوعة كييه الفرنسية الكبرى نقرأ: (الكرد شعب آسيوى غربى (تركيا جنوب شرق، إيران غرب) يسكن الجبل القائم شمال دجلة وهو شعب سحيق القدم ذكره زينوفون تحت اسم (كاردوك) والأكراد آريون من أصل إيرانى حَوَّلَهم العرب إلى الدين الإسلامى، لغتهم مزيج من التركية والعربية ذات صلة كبيرة بالفارسية - ليس لهم أدب وكثيرون من الأكراد رعاة رحل محاربون، نهابون، كانوا الأداة التى استعملت للضغوط على أرمينيا).

ويضيف كيبه فى موسوعته:

كردستان أو بلاد الأكراد منطقة تمتد من جنوب شرقى تركيا الآسيوية حتى شمال العراق وإيران، إنه بلد الكردوك قديمًا، مدنها الأساسية فى تركيا ديار بكر، وفى العراق الموصل، وفى إيران أورمياء.

وبالطبع نلاحظ تناقض واختلاف هذه المعلومات إلى جانب اختصارها، بل أن الموسوعة الواحدة تتناقض مع نفسها أحيانًا، فهذه موسوعة كيبف تعود إلى القول عن بلاد كردستان بأنها مقاطعة فى جمهورية أذربيجان السوفيتية مساحتها ٣٥٣٤٠ كيلو مترًا مربعًا، ويقطنها ٥١ر٥٠٠ شخص، والعاصمة قرية لاتخين.

ويقول الأستاذ كاظم حيدر فى كتابه «الأكراد من هم وإلى أين» أن ثمة مؤرخين يقدرون عدد الأكراد فى الشرق الأوسط بما يزيد عن الخمسة ملايين نسمة، نصفهم فى تركيا، ومليون فى إيران، ومليون فى العراق، إلى جانب وجود عدد كبير مندمج فى سوريا وأذربيجان السوفيتية.

ويعود الكاتب ليؤكد أن الأكراد إن لم يزيدوا عن الخمسة ملايين فهم ليسوا أقل من هذا بكثير، كما يؤكد أن هناك ٤٥ ألف كردى يعيشون فى الإتحاد السوفيتى بين أرمينيا وباكو وأرينان وهناك محطات إذاعية تذيع باللغة الكردية كما أن الأكراد يمثلون فى البرلمان السوفيتى بنائب واحد.

ويتناول السفير فائق السامرائى فى تقريره المفصل عن القضية الكردية فيقول:

كردستان تعنى بأوسع معانيها، البلاد التى يسكنها الأكراد كمجموعة موحدة متجانسة من الناس وتنقسم هذه البلاد ما بين العراق وتركيا وإيران مع بعض الامتداد فى الإتحاد السوفيتى وسوريا فمن الشمال تسير الحدود بصورة تقريبية خلال مناطق بروان وأرضروم وأذربيجان وأرزنجان بقوس يتجه حتى حلب.. ومن الجنوب الغربى يسير بمحازاة سفوح التلال حتى نهر دجلة ثم يتجه بعد ذلك شرقى هذا النهر إلى الأسفل ثم يعرج شمالاً مع خط جبل حمرين حتى مندلى على الحدود العراقية الإيرانية، ومن الشرق فى إيران يسير الخط الكردى باتجاه جنوبى شرق بروان حتى يقسم إلى مناطق ماكو وجزء من جنوب ورضايا (أورميه) ومهاباد وسكيز حتى كرمنشاه، ويعتبر الطريق الصاعد بين كرمنشاه إلى كرنه والطريق المستقيم المؤدى إلى مندلى هو الذى يقسم ما بين الأكراد الأصليين وأقاربهم وذوى رحمهم من السلاك واللوريين الذين يعتبرهم الأكراد منهم.

وبالطبع فإن هذه المنطقة الواسعة لا يسكنها الأكراد وحدهم بصورة مطلقة، ففى عام ١٩١٤ مثلاً كان هناك بعض الأرمن يسكنون شمال خط العرض ٣٨ وهناك النصارى النسطوريون الذين يسمون بالأثوريين (الآشوريين) وهم كثيرون فى منطقة حقارى (حكارى) من تركيا ومنطقة أورميه المحاذية لبلاد إيران ومعظم هؤلاء قد اختفوا من تركيا واستقروا فى منطقة العمادية فى العراق.

كما أننا لا ننسى المناطق التى يسكنها التركمان على طول الخط الذى يصل ما بين بغداد والموصل مرورًا بقرى قره تبه وكفرى وطوز حزماتو وطاووق كركوك والتون كوبرى وأربيل وما وراء الموصل وتلعفر وهناك أيضًا بعض الأماكن التى تشكل جزرًا كردية خارج هذه المناطق فبالقرب من دمشق وحلب وبعيدًا عن أنقرة توجد أقليات كردية فى المناطق الواقعة شرق قزوين وخراسان وكرمان.

والأستاذ سعيد حيدر فى كتابه الذى سبقت الإشارة إليه ينكر أن الأكراد من أصل آرى، ويتبنى وجهة نظر أخرى لا يجب إغفالها، بل لابد من الإشارة إليها هنا سواء ما كان منها على سند من التاريخ أو ما كان منها يجنح إلى الخيالات والأساطير.

يقول سعيد حيدر أن بعض المؤرخين يزعمون بأن الأكراد من أصل آرى، والواقع أن العلماء مروا فى اعتقادات أخرى قبل التوصل إلى الاعتقاد الأخير. فسنة ٤٠٠ قبل الميلاد تحدث المؤرخ الإغريقى كزينوفون عن شعب يقطن منطقة الكرستان ويدعى «الكردوخيين» ثم قيل أن الكردوخيين هم أجداد الأكراد، ولكن جاء بعد ذلك من يقول أن الأكراد ينحدرون من أصل «سرتى» وكان العلماء يبنون نسبتهم الأكراد إلى أصل ما، على كون الأصل المنسوب له قد سكن فى الماضى فى المنطقة التى يسكنها الأكراد اليوم، أو على تشابه فى الاسم «ككردوخيين وأكراد» أو على تشابه فى العادات واللغة، ثم ادعى بعضهم أن الأكراد هم أنسباء الكلدان، وبنى عدد كبير من أصحاب هذه النظرية على ما قاله الرحالة ماركو بولو «أن ثمة شعبًا كرديًا مسيحيًا يقطن فى جبل الموصل...»[1].

وظل الاعتقاد الأخير هو السائد بنسب الكرد للكلدان قائمًا حتى إلى ما قبل قرنين من الزمان، أما اليوم فقد أثبت العلم أن اللغة الكردية هى لغة إيرانية الأصل ودحض علماء اللغة النظرية القائلة بأن اللغة الكردية هى كلدانية الأصل، وأثبتوا علاقتها باللغة الفارسية الحديثة وباللغة الزندية وهى أم اللغة الفارسية.

(١) قاسم والأكراد، أحمد فوزى ص ٢٠ وما بعدها.

وكانت النظرية القائلة أن اللغة الكردية هى من أصل فارسى هى المرتكز الأساسى الذى بنيت عليه النظرية القائلة أن الأكراد من أصل آرى، وكون لغتهم إيرانية حدا ببعض الكتاب الأكراد إلى القول بأنهم من أصل هندى أوروبى على اعتبار أن الإيرانيين من أصل هندى أوروبى، يضاف إلى هذا فإن علماء الغرب يقولون إن أكرادًا من أصل إيرانى رحلوا فى القرن السابع قبل الميلاد من جنوب بحيرة أورمية نحو بوهتله وأسسوا هناك فى القرن الرابع قبل الميلاد إمارة كردية تدعى «مهكرت» كما أن هناك من يقول أن الأكراد ليسوا مزيجًا من قبائل عدة ميدية أو سينية وإنما هم شعب أصيل لا ينحدر من أصل إيرانى، إنما هم أنسباء الجيورجيين والأرمن وليس نطقهم بالإيرانية إلا لأنهم اعتمدوها بعد الاستغناء عن لغتهم الأصلية.

أما الدكتور يحيى الخشاب فيقول فى مقدمته لكتاب الشرفنامه:

إن الباحثين اختلفوا فى أصل الأكراد ونشأتهم، وهناك تاريخ أسطورى يتعلق بالأصل الذى انحدروا منه، ومن هذه الأساطير أن الضحاك «زهاك» الذى اغتصب العرش وأصبح خامس ملوك البيشراديين قد نما على كتفيه ثعبانان كبيران يعتاشان على دماغ الإنسان، وقد أمر بأن يقتل فى كل يوم إنسان لكل واحد من هذين الثعبانين، غير أن الوزير المكلف بتنفيذ هذه الجريمة عمد إلى الإكتفاء بقتل رجل واحد وضم مخ شاة إلى مخه، وأعتق الرجل الثانى سرًا مع الإيعاز له بمغادرة البلاد واستيطان الجبال فأدى هذا إلى اجتماع عدد كبير من طوائف مختلفة وبلهجات متعددة فتزاوجوا وتناسلوا حتى سموا بالكرد، وظل الحال على ذلك حتى قام «كلوه» وهو صانع حداد بقتله.

ومن الغريب أن الأكراد أنفسهم لا ينفون هذه القصة بل يقصونها عن نشأتهم بل إنهم يحتفلون بذكرى «كاوه» صانع الحداد على أنه محرر الشعب الكردى من الطاغية بيوراسب الضحاك أو الزهاك.

كما أن هناك أسطورة أخرى أكثر غرابة وإمعانًا فى الخيال تقول: أن الملك سليمان دعا فى أحد الأيام ٥٠٠ عفريت من أشد العفاريت بأسًا وأمرهم بأن يسافروا إلى أوروبا ويجلبوا ٥٠٠ فتاة حسناء، وبعد عودتهم وجدوا الملك سليمان قد مات فاحتفظوا بالحسناوات لأنفسهم كزوجات فكان من نسلهم الأكراد.

ويعاد سبك وسرد هذه الأسطورة بشكل آخر وهو أن إماء الملك سليمان قد حملن من الشيطان فأمر سليمان بإبعادهن وأولادهن حيث قال «اكردوهن» إلى الجبال، فسموا بذلك

الأكراد.

وطبعًا لا يسعنا إلا أن ننفض أيدينا من تلك الأساطير ونعود إلى التاريخ الجدى، فنرى أن بعض المؤرخين المسلمين يرجعون الأكراد إلى أصل عربى وينسبونهم إلى ربيعة بن بكر ابن وائل، وجماعة ينسبونهم إلى مضر بن نزار فيقولون أنهم أولاد كرد بن مرد بن صعصعة من هوازن(١).

ويقول الشاعر العربى القديم:

لعمرك ما الأكـراد أبناء فـارس ولكنهم أبـناء كـرد بـن عامـر

أما المحدثون من المؤرخين فرغم اعتمادهم على الأساليب العلمية الحديثة فقد اختلفوا هم أيضًا حول أصل الأكراد ونشأتهم.

يقول منيورسكى فى دائرة المعارف الإسلامية أن الكرد قوم من الإيرانيين، فى حين نجد أن سيدنى سميث فى كتابه فجر التاريخ الآشورى يرى ـ بعد دراسته اللغة الكردية ـ أنها ليست مشتقة من الفارسية أو محرفة عنها بل هى لغة مستقلة تمامًا ولها تطوراتها الحقيقية القديمة، فهى أقدم من اللغة الفارسية التى كتبت بها نقوش دارا، لذلك نستطيع القول أن الشعب الكردى هو أحد الأقوام الهندو قدم إلى كردستان فى الوقت الذى تقدم فيه الميديون إلى ميديا والإيرانيون إلى إيران.

وهذا القول لم يطلق على عواهنه وإنما تؤيده وثائق وسجلات التاريخ القديم للإمبراطوريات المتحضرة فى سومر والفرات وبابل، وما عثر عليه من مخطوطات تشير إلى وجود أسر مالكة تحمل بعض الأسماء التى يعتقد بأنها من أصل سنسكريتى مما يشير إلى العناصر الهندو ـ آريه الموجودة هناك مما جعل العلماء يعتقدون بأن الميديين قد استوطنوا المنطقة فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد وبقوا هناك ثلاثة قرون تقريبًا قبل أن ينزحوا إلى الجنوب نحو فارس التى سميت باسمهم.

وقد وجدت عدة وثائق وسجلات للملك شنحاصر الثالث عام ٨٣٦ ق.م أشير فيها لأول مرة إلى تاريخ الميديين رغم أنهم على خلاف السومريين والبابليين والآشوريين والفرس لم يتركوا آثارًا وراءهم.

وعلى أرجح الروايات وأقربها إلى الحقيقة يمكن القول أن الميديين بعد أن جاءوا من منطقة مجهولة اندفعوا إلى الغرب والجنوب وظلوا فى اندفاعهم حتى عام ٦٥٠ ق.م

(١) مروج الذهب للمسعودى (٢/ ٤٣).

وسيطروا على جبال زاجروس.

كما أنه معروف تاريخيًا أن كردستان مثلها مثل باقى أجزاء المنطقة تعرضت لعدة غزوات وخضعت لعدة امبراطوريات مثل:

* السلوقيين من عام ٣٣١ حتى ١٢٩ قبل الميلاد.
* الغارتيين من عام ٢٤٧ قبل الميلاد حتى عام ٣٢٦ ميلادى.
* الساسانيين من ٣٢٦ بعد الميلاد حتى ٦٣٦ ميلادى.
* العرب من ٦٣٦ حتى ١٢٥٨.
* المغول والتركمان من ١٢٥٨ حتى ١٥٠٩م.
* وفى القرن السادس عشر انقسمت كردستان بين العثمانيين والصفويين حيث فاز العثمانيون بنصيب الأسد الذى وصل إلى ثلاثة أرباع البلاد كما خضعت الجهة الجنوبية الشرقية لكردستان المتوسطة إلى السلالة المالكة الأرمنية فى «هيكان».

ثم خضعت إلى الإسكندر ذى القرنين.

ثم إلى الإرساسيين الأرمن الخاضعين تارة لفارس وتارة لروما.

ثم إلى أردشير وسابور ملكى فارس.

ثم إلى الإمبراطورية الرومانية وعادت من جديد إلى الفرس.

ثم إلى إمبراطور بيزنطة.

ثم إلى الأرساسيين الخاضعين للفرس. ثم إلى بيزنطة مرة أخرى.

وأخيرًا للفاتحين العرب الأوائل فالأمراء الأرمن الخاضعين للعرب ثم إلى إحدى السلالات الكردية وكانت أول أسرة كردية حاكمة من سنة ٩٩٠ إلى ١٠٩٦ ثم خلفتها السلالة الشهرمانية.

ثم تناوب عليها الغزاة والفاتحون من سلجوقيين ومغول.

وقد قاوم الأكراد هولاكو خان فى القرن الثالث عشر الذى كلفه شقيقه خان المغول سنة ١٢٥٣ بغزو آسيا والقضاء على «اللصوص الأكراد» وقد قتل الأكراد من المغول ٢٠ ألف مقاتل أمام قلعة أربيل كما قاوم الأكراد العرب ثم المغول بقيادة تيمورلنك حتى اعتنق الأكراد الإسلام فأصبحت كردستان جزءًا من الخلافة الإسلامية من عام ٦٣٦ حتى عام ١٢٥٨.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى خاض الأكراد غمارها وقاسوا ويلاتها رغم أنهم لم يكن لهم فيها ناقة ولا جمل واشتركت القبائل الكردية فى القتال على الجبهتين القوقازية والعراقية وأصيبت بخسائر جسيمة وبعد معاهدة سايكس بيكو الشهيرة انضم لواء الموصل إلى العراق فانتقل جزء من كردستان إلى العراق وهو أقل من الربع بقليل وبقى أكثر من النصف فى تركيا والباقى فى إيران، ومن هذا الشتات والتمزيق كانت بذور القضية الكردية وبدأت الرحلة الشاقة لشعب متمزق يبحث عن لم شتاته ويبحث عن وطنه الذى تحول إلى أشلاء.

* * *

عدد الأكراد فى كردستان

ليس بين أيد ينا إحصاء دقيق للعدد الحقيقى للأكراد، فمعظم الإحصائيات عن الأكراد ـ مثل تاريخهم ـ يشوبها هى الأخرى الخلط والتحريف والتناقض والتعتيم بسبب بعض الجوانب السياسية إلى جانب توزع الأكراد على عدة دول ومع ذلك فإن معظم هذه الإحصائيات السكانية تعود إلى ما قبل عام ١٩٦٠ أى أنها تعود إلى نصف قرن من الزمان ومن المتوقع أن يكون الأكراد قد تضاعفوا بعد هذا التاريخ.

فالأكراد الموزعون بين ثلاث دول هى تركيا والعراق وإيران إلى جانب مجموعات صغيرة تعيش فى سوريا والاتحاد السوفياتى يتوزع عددهم كالآتى:

الدولة	عدد السكان الأكراد
تـركـيـا	٤ر٠٠٠ر٠٠٠
إيـــــران	٢ر٥٠٠ر٠٠٠
الـعـراق	١ر٥٠٠ر٠٠٠
سـوريـا	ر٤٠٠ر٠٠٠
المجـمـوع	٨ر٤٠٠ر٠٠٠

هذا التعداد كما جاء فى كتاب كردستان أمة مقسمة فى الشرق الأوسط بقلم س.س جافان.

والذى راجعه وقدم له الأمير قمران عالى بدير خان أحد أمراء الأكراد كما أن الإحصاء جاء عن سنة ١٩٥٧.

وأضاف المؤلف إلى النسبة السابقة ـ التى قد يكون فيها شىء من المبالغة ـ نسبة أخرى هى حوالى ١٠٠ ألف كردى فى الاتحاد السوفياتى وأرمينيا وأزربيجان مع بعض الأكراد فى أفغانستان.

وفى إحصاء آخر نشرته مجلة Sovietskaia Einografia التى تصدر فى موسكو بقلم س.أ. بروك قدرت المجلة عدد الأكراد بخمسة ملايين نسمة حسب إحصاء ١٩٥٢ موزعين كالتالى(١):

(١) المجلة المذكورة العدد الثانى مجلد سنة ١٩٥٥.

الدولة	عدد الأكراد
تـركيـا	٢ر٠٠٠ر٠٠٠
إيــــران	١ر٨٠٠ر٠٠٠
الـعـراق	ر٩٠٠ر٠٠٠
سـوريـا	ر٣٠٠ر٠٠٠
المجـمـوع	٥ر٠٠٠ر٠٠٠

وقدرت المجلة الفرنسية Lemond en Marche الصادرة سنة ١٩٥٦ عدد الأكراد بثمانية ملايين نسمة.. بينما قدرت بعض المصادر أن عدد الأكراد فى تركيا وحدها يصل إلى ثلاثة أو أربعة ملايين نسمة[1].

ولا تهتم إيران - ربما لظروف خاصة - بعمل أى تعداد للأكراد لديها، وفى إحصاء رسمى جاء فى تقرير اللجنة المؤلفة برئاسة الكونت تلكى رئيس وزراء هنغاريا السابق للنظر فى مطالب الكورد وبيان عددهم بناء على تكليف من عصبة الأمم والذى نشر فى ١٦ يولية سنة ١٩٥٢ جاء فيه أن عدد الأكراد هو ثلاثة ملايين نسمة موزعة كالآتى:

الدولـــة	عدد السكان من الأكراد
تركـيا	١ر٥٠٠ر٠٠٠
إيــران	ر٧٠٠ر٠٠٠
العـراق	ر٥٠٠ر٠٠٠
الدول الأخرى	ر٣٠٠ر٠٠٠
المجـمـوع	٣ر٠٠٠ر٠٠٠

وجاء فى كتاب شرفنامه الفارسى أن عددهم يبلغ سبعة ملايين نسمة وبيانهم كالآتى:

(١) س.ح ادموند، الأ:راد والأتراك والعرب ص٤.

الدولة	عدد الأكراد
فى بلاد العجم	١ر٥٠٠ر٠٠٠
روسيا (جنوب القفقاس)	ر٢٥٠ر٠٠٠
تركـيا	٤ر٥٠٠ر٠٠٠
العراق	ر٥٠٠ر٠٠٠
سوريا	ر٢٥٠ر٠٠٠
المجـمـوع	٧ر٠٠٠ر٠٠٠

أما فى الإحصاء الذى ورد فى كتاب «المسألة الكردية تجاه الترك» فيؤكد أن عدد الأكراد قبل الحرب العالمية العظمى قد بلغ أكثر من خمسة ملايين نسمة وبيانهم:

الدولة	عدد الأكراد
تركيـا	٢ر٩٨٧ر٩٦٠
سوريا	ر٢٨٩ر٩٤٠
العراق	ر٧٤٩ر٣٨٠
إيـران	١ر٣٠٠ر٠٠٠
أرمينيا الروسية	ر٠٦٠ر٠٠٠
المجموع	٥ر٣٨٧ر٣٨٠

وقد قام محمد أمين زكى بك الوزير السابق فى الحكومة العراقية بعمل إحصاء آخر نورده هنا رغم أنه لوحظ عدم دقته فى تقدير عدد الأكراد فى تركيا:

الدولة	عدد الأكراد
إيــران	٢ر٠٠٠ر٠٠٠
تركـيا	١ر٥٠٠ر٠٠٠
العراق	ر٦٠٠ر٠٠٠
روسيا وسوريا	ر٢٣٠ر٠٠٠
بلوجستان والهند	ر٣٥٠ر٠٠٠
المجموع	٤ر٦٨٠ر٠٠٠

وفى إحصاء آخر قام به مسيو الكسندر أحد المؤلفين الروس صدر به مؤلفه المنشور سنة ١٨٦٠ فى بطرسبورج جاء كالآتى:

الدولة	عدد الأكراد
تركيا	٣ر٩٨٧ر٩٦٠
إيران	٣ر٠٠٠ر٠٠٠
العراق	ر٧٤٩ر٣٨٠
سوريا	ر٢٨٩ر٩٤٠
أرمينيا والبلاد الأخرى	ر٦٧٠ر٧٠٠
المجموع	٩ر٠٠٠ر٠٠٠

ويبدو أن هذا الإحصاء كان أكثر مبالغة إذ قدر عدد الأكراد بتسعة ملايين نسمة علمًا بأن الإحصاء كان عام ١٨٦٠ معنى ذلك أن يكون الأكراد الآن وصلوا مائة مليون نسمة، وطبعًا هذا تقدير جزافى غير معقول.

أما المسيو الكسندريابا فقد ذكر فى كتابه «مجموعة الحكايات والملحوظات الكردية» المنشور سنة ١٨٦٠ فى بطرسبورغ أن عدد الأكراد يقدر بالمنازل والخيام ويقول أن عدد أفراد منزل واحد أو خيمة واحدة يتراوح ما بين ٥ إلى ٢٠ فردًا، وبناء على هذه القاعدة قام أحد الكتاب بتقدير عدد سكان كردستان من الأكراد كالآتى:

الدولة	عدد السكان
تركيا	٣ر٩٨٧ر٩٦٠
العراق	ر٧٤٩ر٣٨٠
إيران	٣ر٣٠٠ر٠٠٠
سوريا	ر٢٨٩ر٩٤٠
أرمينيا	ر٠٦٠ر٥٠٠
المجموع	٨ر٣٨٧ر٢٨٠

وهذا التعداد لا يشمل باقى الأكراد المغتربين والمنتشرين فى جميع أنحاء العالم والذين يزيد عددهم عن المليون نسمة.

وكما قلنا كلها إحصائيات قديمة يصل أحدثها إلى ما يقرب من نصف قرن من الزمان ولكن أحدث بيانات تعداد الأكراد جاء كالتالى على وجه التقريب:

الدولة	عدد الأكراد
إيران	٦ر٠٠٠ر٠٠٠
تركيا	١٦ر٠٠٠ر٠٠٠
العراق	٣ر٥٠٠ر٠٠٠
سوريا	١ر٥٠٠ر٠٠٠
المجموع	٢٧ر٠٠٠ر٠٠٠ (١)

وطبعًا غير مدرج فى هذا التعداد باقى الأكراد المنتشرين فى الإتحاد السوفياتى وأرمينيا وباقى الدول، وكذلك غير مدرج فيها الأكراد المهاجرون إلى معظم دول أوروبا ولكن بنظرة فاحصة إلى نسبة الأكراد فى الدول المذكورة ومقارنتها بالعدد الذى وصلت إليه هذه الدول الآن لا نكون مغالين إذا أكدنا أن عدد الأكراد قد اقترب من الأربعين مليون نسمة.

وهذه الحقيقة التى يؤكدها الأكراد أنفسهم ولكن تحاول معظم الدول تجاهلها والتعتيم عليها مع أنه يجب أن نضع فى اعتبارنا أن الشعب الكردى قد تعرض طوال حياته لسلسلة من الإبادة الجماعية والاضطهاد والتنكيل الوحشى من قبل الحكومات المتعاقبة فى الدول التى يخضع لسلطانها الأكراد ويكفى أن نقول أن هناك تقريرًا للحزب الشيوعى التركى قدر عدد من قتل أو نفى من الأكراد خلال ثلاث عشرة سنة فقط بمليون ونصف المليون كردى هذا عدا من هم داخل السجون والمعتقلات أو من شردوا وتلاشوا مع الشعوب الأخرى أو من هجروا إجباريًا إلى خارج حدود الوطن كما أنه يجب الأخذ فى الاعتبار أن أكراد العراق قد تعرضوا لعدة حملات شرسة وأقربها مأساة قرية حلبجة التى قصفت بالطائرات وأبيد سكانها بالغازات السامة وقتل فيها ما يقرب من خمسة آلاف مواطن فى ساعة واحدة. وقد اختلفت علاقة أكراد العراق مع الحكومات المتعاقبة وتعرضت للمد والجزر تبعًا للظروف السياسية.

وقد نشرت جريدة الحياة اللندنية فى عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٠/١/٢٩ مقالاً أو تحقيقًا إجتماعيًا وسياسيًا عن الأكراد أكدت فيه أن آخر إحصائية للأكراد تشير إلى أن

(١) يراجع الأكراد ورسالة الكفاح الإنسانى مأمون البورسان ص٣٢.

عددهم الفعلى قد بلغ ٤٠ مليون نسمة يعيشون على أراضى كردستان التى تبلغ مساحتها ٤٠٩ر٦٥٠ كيلو مترًا مربعًا وبعضهم مهاجرون فى الخارج.

وقالت الصحيفة أن أكراد إيران يبلغون ٩ ملايين نسمة منهم ٥٠٪ سُنَّة، ٣٥٪ شيعة موزعون فى كرمنشاه وعيلام وهى مركز العلوم الشيعية وأهل الحق ٥٪ فى أورمية ومهاباد وسنتبرج أما اليهود فنسبتهم محدودة جدًا بين الأكراد ويعيشون فى منطقة ساقز والكاكائية ٥٪ وهم من بقايا الزرادشتيه.

وأشارت إلى أن أكراد لبنان يعيشون حياة هامشية مهملة على كافة الأصعدة ويبلغ عددهم ١٧٠ ألف نسمة وقد نزحوا إلى لبنان فى القرن الحادى عشر الميلادى أثناء هجوم الصليبيين على بلاد الشام وكان أول تواجد حقيقى لهم على أرض لبنان فى العهد الأيوبى حيث استقروا فى قضاء بعلبك.

وجاء الجنبلاذيون فى القرن السادس عشر أثناء حرب جدهم على باشا جانبولاذ فى ثورته على والى الشام سليمان باشا واستقر فى جبل الدروز وجاءت عائلات أخرى مثل المراغية وآل سيفا الذين سكنوا طرابلس وعكار واستقر العماديون فى جبل لبنان وآل حمية من عشيرة الهماوند سكنوا طاريا والهرمل فى بعلبك وهم من الباكوات والأسر العريقة، كما جاء أكراد ماردين من تركيا فى القرن العشرين وسكنوا فى بيروت والشياح وبرج البراجنة والكرانتينة ومخيمات صابرا وشاتيلا وعين المريسة، وقد سقط ٤٠٠ كردى شهداء المقاومة فى جنوب لبنان كما استشهد عدد كبير منهم فى مذبحة صابرا وشاتيلا وهم يؤدون خدمة العلم ويعيشون المواطنة المزدوجة.

وحسب المادة ٨٢٥ من اتفاقية لوزان فإن كل من وجد على أرض لبنان فى تاريخ ٣١ أغسطس عام ١٩٢٤ من التابعين للأتراك فهو مواطن لبنانى الجنسية، وهناك أكثر من ٢٠٪ من الأكراد حصلوا على الجنسية اللبنانية وتقوم الحكومات اللبنانية المتعاقبة بتجنيس الأكراد بالجنسية اللبنانية تباعًا وهناك ٢٠٠ عائلة كردية سنة ١٩٥٩ اكتسبت هذه الجنسية بموجب مرسوم جمهورى أصدره كميل شمعون وشهد عام ١٩٩٤ دخول ١٠ آلاف كردى فى الجنسية اللبنانية.

* * *

نشاط السكان

وأهم نشاط للأكراد هو الزراعة حيث يعشق الكردى الأرض ويلتصق بها التصاقًا شديدًا شأنه شأن العربى يعتبر الأرض مثل العرض.. وقد ظهرت بصمات يديه واضحة على أراضى كردستان التى انتشرت فيها البساتين والموالح والأشجار المثمرة خاصة أشجار التوت التى تساعد على تربية دود القز والنحل إلى جانب البساتين الشاسعة الناضرة بالخضروات والفاكهة إلى جانب المحاصيل الزراعية الأخرى مثل الأذرة بمختلف أنواعها والقمح والشعير والسمسم والقطن والبصل والثوم والعدس والفاصوليا والحمص واللوز والجوز والفول والتين والزيتون والكمثرى والخوخ والمشمش والكرز والرمان والعنب والدخان عالى الجودة والكتان.

وأغلب أقاليم كردستان غنية بالثروة المعدنية والمناجم خاصة مناطق ديار بكر وماردين كما يوجد فى منطقة أرغنى منجم نحاس كبير شهير له سمعته العالمية إضافة إلى منجم آخر فى مدينة بالو حيث يختلط النحاس بالفضة، وتكثر مناجم الذهب والفضة فى ديار بكر، أما مناجم الفحم فأغلبها فى سيلوان وجزيرة ابن عمر خاصة الفحم الحجرى، أما مناجم الحديث والرصاص والفحم الحجرى فمتوفرة فى سعرد وفى قضاء نيروج منجم للذهب، وفى أطراف منطقة وان مناجم غنية بالفحم والرصاص والنحاس والقصدير والبترول والطباشير والجير الأسمنتى، وفى وادى نهر الزاب مياه معدنية باردة كربونية، كما توجد المياه المعدنية الكبريتية الساخنة فى قضاء سعرد، وفى كيفى وكسكيم منجمان للحديد والصلب، وفى خنس مناجم للنفط، وفى أرزنجان وباسيلى مناجم للطباشير والجبس، وبالقرب من جبل آوغرى منابع مياه متعددة للحمامات المعدنية، وفى ولاية خربوط منجم للرصاص وفى جمشكزك منجم للفحم الحجرى، وفى سنجق درسم منابع أخرى للمياه المعدنية.

ورغم وجود هذه المناجم والمعادن فلا تزال الصناعة فى كردستان متأخرة حيث تنعدم الصناعات الثقيلة ولا يوجد أثر للصناعات العملاقة، وذلك بسبب الظروف السياسية أما الصناعات اليدوية والخفيفة فهى منتشرة بكثرة، ويقوم عليها مئات الآلاف من العمال المهرة المشهورين بالخبرة والدقة والكفاءة لا سيما فى صناعة السجاد المنتشرة فى جميع البيوت الكردستانية والتى تشغل إحدى وسائل التسلية النافعة فى المنازل مثلما تنتشر صناعة وتركيب الساعات فى البيوت السويسرية، ففى معظم السهرات الليلية خاصة فى فصل الشتاء تجتمع الأسرالكردية على صناعة السجاجيد الفاخرة كما تنتشر صناعة الأقمشة الصوفية والقطنية

والحريرية كما تشتهر تلك المناطق بصناعة المشالح والشيلان والستائر والعباءات وكذلك الأقمشة المقصبة والمطرزة.

توجد أيضًا بعض الصناعات الجلدية ودباغتها وتشتهر كردستان بالنقش على المعادن وزخرفتها مثل الحفر والنقش على مقابض الخناجر والسيوف ومؤخرات الطبنجات والأطباق الفضية وخراطة وزخرفة الأحجار الكريمة مثل الزبرجد والياقوت والكهرمان وصناعة السروجية والنجارة كما أنهم يصنعون نوعًا من الصابون المتميز المصنوع من زيت الفستق.

وصناعة الأسلحة اليدوية البيضاء كانت حرفة وهواية معروفة فى كردستان خاصة وأن الأكراد شعب محارب يقدس السلاح ويتفنن فى صناعته، واشتهرت منطقة السليمانية بصناعة نوع فاخر من الطبنجات وكانت تشترك فى المعرض الزراعى الصناعى السنوى فى بغداد بأنواع مستحدثة ومختلفة من هذه الطبنجات.

وقد ابتكر الأكراد نوعًا من البنادق كان غاية فى البراعة والإتقان وكان تحفة فنية، فكانت هناك بندقية تستخدم كبندقية ومسدس وحربة ويتم تغييرها بأساليب أتوماتيكية فنية.. ولكن للأسف الشديد هذه الصناعة انقرضت واختفت خاصة بعد خضوع معظم الأقاليم الكردية للحكم التركى ولظروف سياسية.

الرعى:

الكردى بدوى بطبعه يعشق الجبال والصحراء كما يعشق الحيوان من دواب للركوب أو ماشية يرعاها وهو إلى جانب اعتماده فى المعيشة على الزراعة يعتمد أيضًا على الرعى بصفة رئيسية خاصة لوجود مراعى جيدة منتشرة فى معظم مناطق كردستان.. ويرعى الكردى معظم أنواع الماشية المعروفة ومنذ نصف قرن من الزمان كانت فى كردستان وحدها حوالى ٣٥ مليون و٧٠٠ ألف من رءوس الماشية موزعة كالآتى:

الغنم	١٣٫٠٠٠٫٠٠٠
الماعز	٨٫٠٠٠٫٠٠٠
الدواب	٢٫٠٠٠٫٠٠٠
الأبقار	١٫٧٠٠٫٠٠٠
المجموع	٣٥٫٧٠٠٫٠٠٠ (١)

هذا عدا بقية الدواب مثل الخيول والبغال والحمير.

(١) الأكراد منذ فجر التاريخ محاضرة ألقاها الأستاذ رفيق حلمى على طلبة المدرسة الثانوية بالموصل.

ومعظم الزراعات والصناعات اليدوية تكفى الأكراد ذاتيًا ويصدرون منها للخارج مثل الزبيب وعسل النحل ومَنّ السماء والفواكه المجففة وشمع العسل والجبن والدبس والسمن والأسماك المملحة إلى جانب أنواع جيدة من الصوف والجلود والزيوت وبذر الكتان ودود القز وأنواع الحرير الخام[1].

* * *

(١) المرجع السابق.

عادات .. وتقاليد

تدخل العوامل العرقية للأكراد ضمن الاعتبارات القومية الهامة لهذا الشعب حيث أن العصبية العرقية تقوم فى المقام الأول نحو ترابط أبنائه واتحادهم وتأخذ شكلاً سياسيًا واجتماعيًا. . ولقد حاول كثيرون من باحثى علم الإجتماع والمؤرخين دراسة العرق الكردى ومدى تأثيره فى المسألة الكردية حيث اعتبروا العرق الكردى يشكل تميزًا نحو هوية مستقلة فبينما قالت جماعة أن الأكراد ينتمون إلى العرق السامى أى العرق العربى، راحت جماعة أخرى تنسبهم إلى العرق الإيرانى الأصيل، بينما مالت الغالبية العظمى إلى اعتبار الأكراد جنسًا آريًا. وأكثر هذه الآراء قربًا من الدراسة العلمية التكنولوجية المتطورة هو ما قام به العالم أوجين بيتار أستاذ ورئيس قسم الهيئة للأجناس فى جنيف، والأستاذ بجامعة جنيف الذى قرر الآتى:

* فى المناطق الواقعة بين المنطقة الجبلية للقوقاز والهند تعيش شعوب وجماعات تكرر ذكرهم فى التاريخ مثل الفرس والماديين والعرب والترك، وقد قامت على أرض هذه المناطق حضارات قديمة كالبابلية والآشورية والفينيقية ومن حيث اللغة تسيدت هذه المناطق لغتان الفارسية واللغات السامية الأخرى.
* إن إيران وبلوجستان وأفغانستان والقسم الشرقى لآسيا الصغرى هى المناطق التى تعتبر المهد الحقيقى للعرق الإيرانى وقد ظهرت هناك شعوب كثيرة من هذا العرق مثل الفرس والطاجيك والأذربيجانيين فى مناطق القوقاز الجنوبى والسارت فى تركستان الروسية والتات فى الجنوب الغربى لبحر الخزر، وفى الشرق الأفغان والبلوج، وفى آسيا الصغرى الأكراد والأرمن الذين يعيشون فى جماعات متفرقة. . وإذا حاولنا تقسيم هذه الشعوب من حيث علم الأجناس البحت سنواجه صعوبات شديدة لأنها تختلف اختلافات كبيرة بين بعضها البعض خاصة فى الملامح الشخصية التى تعد من بين عناصر علم الأجناس فمن حيث الجمجمة وحجمها نجد أن الباتان والأفغان من «الدوليكوسفال» أى ذوى الرءوس الطويلة والشطر الأكبر من الإيرانيين الحاليين لا يعدون من هؤلاء.

كما نجد «البراكى سفال» أى ذوى الرءوس العريضة وجماعة كبيرة من الطاجيك والفرس ليسوا أيضًا من ذوى الرءوس العريضة الذين منهم التات والأذربيجانيون والأرمن. . وتحت مظلة واحدة من اللغة والمصالح المشتركة يمكن أن تجتمع عرقيات مختلفة يصعب الفصل بينها.

وبصفة عامة يبقى الأكراد دون غيرهم من الإيرانيين شعبًا خالص العرقية إلى حد كبير لم تمتزج دماؤهم بدماء غيرهم، وظلوا محافظين باستماتة على نقاء الدم وأصالة العرق، وساعدهم على ذلك سكناهم المناطق الجبلية الوعرة التضاريس المنيعة المكان، وندر أن سكن هذه المناطق غيرهم من غزاة أو محاربين ويقاسمهم هذه الحقيقة التاريخية القسم الأوسط لشط دجلة وسائر أقاليم آشور القديمة، وجزء من أرمينية.

ويضيف بيتار بعد الخلوص إلى هذه النتيجة مؤكدًا أن الأكراد من حيث القامة طوال القامة تزيد قامة الكردى منهم عن (٤٨ر١) متر، ويشاركهم هذه الصفة الطاجيك والكالشا والأفغان، ويؤكد الباحث أن ٨٣٪ من الأكراد هم طوال القامة، بل أن بعضًا منهم يصل معدل طول القامة عندهم أعلى من المعدل، كما أن بعضهم مثل الرادكيين واليزديين والميلاتيين قصار القامة، أما فيما يتعلق بشكل الجمجمة فتختلف وتتفاوت، فهى بمقياس الباحث ناسونف ٧٨/٤٨، وبمقياس شانتر ٧٨/٥٣، وبمقياس بيتار ٨٦/٤٩.. ويدخل فى هذا الاعتبار أن من طبيعة الأكراد أنهم يربطون رءوس أطفالهم بعد ولادتهم ولفترة طويلة بطريقة خاصة لذلك فإن رءوسهم تتغير أشكالها وتطول كثيراً حتى يتوجب ضمهم ضمن طوال الرءوس.

ويؤكد العالم شانتر أن متوسط مقاس جماجم اليزديين هو ٧٠/٤٠، والبيلكانيين هو ٨٦/٤٨، كما أن لون العيون عند الأكراد بصفة عامة هو اللون الأسود، بينما يؤكد الباحث بيتار أن ٩٪ من الأكراد لهم عيون خضراء فاتحة، بينما لا يوجد كردى واحد أزرق العينين، أو أحمر الشعر، بل أن ٨٢٪ منهم شعرهم أسود فاحم والباقى شعرهم غامق كلون البلوط.

كما أن الأكراد إلى جانب الدم والعرق واللغة والعقيدة تجمعهم مجموعة من العادات والتقاليد الموحدة مثل عادات الإرتحال والزواج والزفاف ودفن الموتى وصيد الذئاب ومراسم الإحتفالات الدينية والقومية مثل الإحتفال بالنيروز، كما تجمعهم مجموعة من الأساطير والأدب الشعبى والخرافات والعادات المعيشية.. وإن كان واضحًا أن أهم شىء يجمعهم هو اللباس الكردى والرقص الكردى.. فللأكراد رقص خاص يسمونه (الخشبى) وهو رقص الدبكة المعروف عند الشوام واللبنانيين تقريبًا، وهو الرقص فى شبه حلقات مستديرة متشابكة تقوم به جماعة تثب وتقفز بينما المايسترو وهو شخص يدير حركة الرقص يقف على رأس المجموعة يمسك بيده منديلاً أخضر بينما يمسك بيده الأخرى الراقصين الآخرين

الذين يدور بهم، وقد عقد كل منهم ساعده بساعد زميله ويصاحب ذلك أصوات الطبول والنفير، كما أن النساء يشتركن مع الرجال ويختلطن بهم فى رقصات جماعية ويضربن الأرض بأقدامهن بقوة ويشبكن سواعدهن بسواعد الرجال، ويلاحظ أن المرأة الكردية لا تتقيد بالحجاب الإسلامى كما أنهن فى كثير من الأحيان يكشفن عن رءوسهن[1].

أما الزى الوطنى الكردى فبالنسبة للرجال يتألف من:

(١) الكفا باتول وهو يشبه المعطف ويلبس بدلاً من المعطف والسروال وهو من قطعتين يختلفان فى التفصيل والحياكة، فالكفا أو المعطف الكردى على هيئة الجاكيت العسكرى تقريبًا مع فارق أن الكفا ليس به جيوب جانبية وله فتحتان من اليمين واليسار، كما أن الكمين مفتوحان، وفى الشتاء يملأون بطانة الكفا بالقطن لكى يحميهم من البرد ويسمى فى هذه الحالة «مرادخانى»، أما الباتول فهو السروال الكردى فتتسع جوانبه ويدل الحزام يعقدون فتحته برباط يسمونه (دخين).

(٢) البشتد من قماش مطرز طوله ستة أمتار بحيث يطوى القماش من ناحيته العريضة ويحاك ثم يعقدونه بصور مختلفة و «مفصلة» على الخصر، والذين يحملون الأسلحة يعقدونها على الخصر ويعقدونها على البشتد حيث تتدلى الخناجر الطويلة بين البشتد والكفا.

(٣) بتش، وهو قماش طوله ثلاثة أمتار وأغلبه مطرز، ويعقدون به رءوسهم مثل العمامة ويفصلونه بحيث تتدلى منه خيوط شكلها جميل على جانبى الوجه. . ويعقد البتش الذى يسمى أيضًا (مزز) فى مناطق سقز فوق قبعة أو قلنسوة خاصة تسمى الطاقية، وتنسج الطاقية أو لاقطة العرق هذه من الخيوط خاصة من خيوط البكر بإبرة طويلة لها طرف الشص أو السنارة، وهذا من عمل النساء والفتيات الأكراد، ويقمن بنسجها من خيوط متعددة الألوان لزيادة النقش والزينة ومبالغة فى الجمال.

(٤) كراس، وهو شبيه بالقميص ولكنه بدون ياقة كما أنهم يحيكون فى نهاية أكمامه معلقات تابعة لها تسمى (سورانى) التى يربطونها فوق أكمام الكفا، وفى الأوقات الإضطرارية خاصة فى أوقات الحرب يعقدون طرفى السورانى ويعلقونه بأعناقهم. . وهذه السورانيات تساعد على تشمير الأكمام عند غسل الأيدى والوجوه.

---

(١) يراجع كرد كردستان لنيكتين ص٢٢٨.

الملابس النسائية :

تلبس الكرديات ملابس جميلة أهم أجزائها:

(١) الكفا: وهو نفس المعطف الرجالى الكردى ولكن مع اختلاف اللون كما أنه أقصر منه قليلاً ويسمى أحيانًا كولجا وهو خال من الجيوب الموجودة فى الكفا الرجالى.

(٢) كراس، أو القميص النسائى الكردى له حياكة بسيطة بجسم طويل وذيل مفتوح وطويل بحيث ينسدل ذيل القميص على أرجل النساء ويحاك من القماش الجيد عالى القيمة.

(٣) البشتد وهو نفس بشتد الرجال إلا أن النساء يضعن فى داخله قماشًا آخر بحيث يبرز منه.

(٤) الطراحة: وطراحة الكرديات قطعة من القماش رقيقة جدًا ولها ثلاثة أطراف تتدلى منها خيوط لكى تزيد من جمالها وتشبك النساء بهذه الخيوط قطعًا من العملات المعدنية.

(٥) درية، بدلاً من السروال بالداخل وتقع بفتحة ضيقة على أعقابهن لكنها تنفتح كثيرًا فى غطائها للساق، ويلبس عادة من هذه الدريات اثنتان أو ثلاث إحداها فوق الأخرى.

(٦) الكلاف: أو القلنسوة الكردية وهى بديعة وجميلة تصنع من الورق المقوى بشكل إسطوانة قصيرة وتغطى بقماش مخملى ملون ثم يزين ظاهره بقطع من العملة المعدنية أو قطان مذهب ويمر هذا الخيط بأسفل الذقن وتضع الكرديات الطراحة فوق القلنسوة، ويسمى الخيط المثبت للقلنسوة (قطاره) وتستخدمه سيدات الطبقة الراقية وتعلق على كلا الطرفين فى مكان اتصال هذا الخيط بالقلنسوة وردة ذهبية. . وتستخدم السيدات البارزات فى الأغلب (الجلجلة) بدلاً من القلنسوة وهى خيط طويل من الحرير الأسود والأبيض به معلقات حريرية ويعقد بطريقة جميلة من فوق الطراحة.

* * *

الشخصية الكردية .. والمجتمع الكردى

وإذا أردنا أن نقتحم العالم الخاص لشخصية الإنسان الكردى فنجد أنه إنسان عنيد شجاع متكبر لديه إباء وكبرياء قاسٍ حتى مع نفسه مثابر فهو من سلالة شعب متكبر جُبِل على الاستقلال ورفض الخضوع للغير.

وبصفة عامة فإن شخصية الإنسان الكردى لا تنفصل عن حياة أرضه فهو شأنه شأن الإنسان العربى القديم ارتبط بالأرض والصحراء، فالكردى يعيش بالأرض فكانت الزراعة والرعى أهم الحرف التى عمل فيها والطبيعة لها فى نفس الإنسان الكردى مكانة خاصة، كما أن للماشية مكانة حميمة عند الكردى الذى يرتبط بماشيته ارتباطًا وثيقًا مثلما يرتبط العربى بالناقة أو الفرس فحياة البداوة وأخلاق الصحراء وقوانينها تفرض نفسها على الكردى كما كانت تفرض نفسها على العربى.. وحياة البداوة الصحراوية علمت الكردى عادة الحل والترحال والتنقل وعدم الاستقرار كما علمته الصبر على المكاره واحتمال الشدائد وربت نفسه على شظف العيش والخشونة والاقتصاد وعدم التبرم أو الشكوى، كما جعلت منه فارسًا صلبًا يعشق المغامرة ويستلذ ركوب الأخطار كما جبلت شخصيته على التمرد وعدم قبول الضيم، كما أن من صفات الكردى الأخذ بالثأر مهما طال الأمد شأنه شأن أهل الجنوب فى مصر، وشأنه شأن البدو فى الصحراء.

وهناك دراسة مستفيضة لعالم الاجتماع الدكتور هلموت كريستوفر تناول فيها نماذج من الأكراد أجرى عليهم دراسة إجتماعية ميدانية استخلص فيها العديد من صفات الأكراد وطباعهم وقال أن هناك الأكراد رعاة المواشى والأكراد المزارعين، وهناك المحاربون الذين يعيشون عادة فى المدن وعلى المناطق الحدودية ويعتمدون فى تأمين معيشتهم الشخصية أحيانًا على القتال والسلب والنهب.

وهذه الصفات تكاد تكون عامة ومشتركة بين المجتمعات الكردية العشائرية أو القبلية أو البدوية، أما الأكراد سكان المدن الذين تعلموا وتحضروا وتخرج منهم مهندسون وأطباء ومحامون وأساتذة جامعات ومهن كثيرة مختلفة فقد اختلطوا بغيرهم وتأثروا بالمجتمعات الأخرى.

لكن بصفة عامة يمتاز الكردى بالاستقامة والوفاء والصدق والعطف على الأهل والولاء لولاة الأمور سواء كان شيخ قبيلة أو عمدة قرية أو رئيس دولة، والكردى عاطفى انفعالى سريع الغضب سريع الرضا مندفع لا يعرف الحيلة ولا الدهاء.

والكردى مشهور باحترامه الشديد للنساء وتعدد الزوجات فى المجتمع الكردى يكاد يكون ظاهرة غير موجودة إلا نادراً ولظروف ملحة. . فالكردى يحترم زوجته ويحفظ لها كرامتها وشخصيتها فى بيتها ولا يضيق عليها فى الإنفاق ولا يحقر من شأنها ولا يجبرها على العمل لا سيما الأعمال الدونية مثلما يعمل بعض البدو الرحل أو بعض المجتمعات الغجرية حيث يعتمد الرجال على كسب النساء ويعيشون على عرقهن.

والمرأة الكردية أكثر تحضراً وأكثر إيجابية ومشاركة فى حياة الأسرة وفى اتخاذ القرارات إلى جانب زوجها، وهى تتمتع بقسط كبير من الحرية الشخصية وهى تستطيع التدخين والخروج بمفردها، كما أنها سافرة الوجه لا تعرف النقاب، وهى التى تتولى إدارة شئون البيت وتشرف على الخدم وعمال المنزل، وعندما يكون هناك ضيوف تتولى هى إعطاء إشارة البدء فى تناول الطعام.

والمرأة الكردية لها بصمة مميزة على تربية أولادها وتنشئتهم تنشئة قويمة صالحة، كما أنها تستطيع استقبال الضيوف فى غياب زوجها وتضايفهم وتتحدث معهم، ومن اللافت للنظر أن المرأة الكردية تستطيع أن تمارس حقها فى الحب ومبادلة الحبيب المشاعر كما أنها تتعرف على خطيبها قبل أن تقدمه للأسرة، ولا دخل للقبيلة فى زواج أفرادها، فالفتاة والشاب يتعارفان ويتبادلان الإعجاب ثم الحب، ثم يأتى دور الأسرة فى إنهاء المراسم الزوجية، وأثناء فترة الخطوبة تتمتع الفتاة بقسط كبير من الحرية مع خطيبها.

والكردى يعرف الحب ويكتوى بناره ويتغنى به ويحفظ كثيراً من أغانى العشق والغرام التى تمزق نياط القلوب، كما أنه يحفظ أشعار الحب والغزل والتشبيب بالنساء، ليس هذا فحسب بل أن هناك شواعر كرديات يكتبن أشعار الحب الصريح.

والكردى أيضًا إلى جانب وفائه وتقديره وحبه لزوجته فهو أيضًا يدين بالطاعة والولاء لشيخ القبيلة ويطيعه طاعة عمياء ويبذل روحه وحياته فداء له. . كما أن للابن البكر منزلة خاصة داخل الأسرة الكردية وحسب التسلسل القيادى فإن النهى والأمر للأب أولاً، ثم الابن البكر ثم من يليه من الأبناء الذكور.

وينقسم المجتمع الكردى إلى أربع طبقات تبعًا لظروف السكان وهى:

* أبناء المدن ويشكلون الطبقة المتوسطة من الموظفين.
* أبناء العشائر وهم قاطنو القرى والجبال.
* الرؤساء وهم الأمراء والأغوات والباكوات والكوخات.

* المتعلمون وهم الطبقة المستنيرة والصفوة من الأكراد وهم قلة بسبب انتشار الأمية بين الأكراد بسبب حياة الترحال التى يعيشها المواطن الكردى والملاحقة الدائمة لهم من قبل أجهزة الأمن فى الدول التى يعيشون تحت مظلتها إلى جانب عدم الاهتمام بالأكراد من قبل هذه الحكومات.

والمجتمع القبلى شأنه شأن المجتمع البدوى العربى ينقسم إلى بطون وأفخاذ، وفى كل قبيلة توجد أسرة ينحدر منها زعماء أو رؤساء القبيلة أو الأغوات ومنهم الأغا وهو العمدة.

وأقوى وأهم عشائر الأكراد الجبليين هى:

* عشيرة الجاف، وهى المسيطرة على منطقة شهرزور وما حولها (حلبجة وخرمال) وتاريخها ضارب فى القدم ويعود إلى القرن السابع الميلادى، واللافت للنظر أن هذه القبيلة كانت تحكمها امرأة تدعى خاتون.

* عشيرة بشدر وتستوطن منطقة قلعة دزه.
* عشيرة زنكنه.
* عشيرة الطالبانية والتى ينتمى إليها الزعيم الكردى جلال طالبانى.
* الكاكائية.
* عشيرة البابان.
* اليزيدية.
* الهماوند[1].

وهذه العشائر هى التى تشكل المجتمع الكردى وهى التى تضم معظم وحداته العسكرية المقاتلة، ومن بين أبنائها يخرج الزعماء والقادة والثوار وترتبط هذه العشائر مع بعضها البعض بحكم العصبية القبلية والمصاهرة وبحكم العاطفة الدينية، كما أن هناك أمورًا أخرى تحرك الكردى من أجل الثورة والتمرد أهمها شغف الأكراد بالمغامرة وحياة السلب والنهب والصعلكة، كما أنهم يتهربون من قانون التجنيد الإجبارى لانعدام الشعور بالمواطنة لديهم لأنهم يخدمون دولاً تحرمهم حق المواطنة.

* يقول المسيو نيكيتين عن المجتمع الكردى فى كتابه ملاحظات عن الكرد:

ولبيان نبذة عن أخلاق القوم وجب علينا أن ننوه بأن البغاء مجهول تمامًا عند الكرد، وأنهم لا غنى لهم فى تحديده عن استعمال الألفاظ التركية لعدم وجوده فى لغتهم، فللكردى

(١) قاسم والأكراد، أحمد فوزى ص٤١.

بيته وهو ميال إلى الاكتفاء بزوجة واحدة وامرأته تتمتع بسلطة كبيرة فى الحياة الداخلية . . .

* ويضيف . . إن الكردى فلاح نشيط فى حياته اليومية ويدهش المرء الذى يطوف الأنحاء البعيدة من كردستان إذ يرى كم من الهمة والصبر قد بذلا فى سبيل انتزاع الثروة من الجبال القاحلة .

* وجاء فى الإنسكلوبيديا الكبرى المجلد ٢١ ما ترجمته :

إن العواطف العائلية بين الأكراد نامية جداً فهم مخلصون أعفَّاء النفوس مضيافون، ونساؤهم أكثر حرية من نساءالترك ويخرجن سافرات ولا وجود لتعدد الزوجات إلا عند الأغنياء منهم، وهم يكرهون الترك، ويحب الكردى الموسيقى والرقص حبًا عظيمًا .

* ويقول هاترى بندر فى كتابه «سياحة فى بلاد الكرد» :

والخلاصة أن الكرد رجال جميلون أقوياء أذكياء وبعدما تثقفهم الحضارة يصبحون أرقى من جيرانهم الترك .

* ويقول أ. ب. صون فى كتابه «عامان فى كردستان» :

فى اليوم الذى يستيقظ فيه الشعور الكردى تتمزق الدولة التركية أمامه إربًا .

* يقول المسيو مارثان هرتمان فى أحد مؤلفاته المطبوع فى ليبزيج سنة ١٩١٢ :

فى اليوم الذى يظهر فيه على رأس الأمة الكردية الرجل الذى تحتاج إليه تبذل من الإدارة والقوة فى التعاون على حدود الثقافة والحضارة العامة ما يكسبها احترام العالم كله وإعجابه .

* ويقول المسيو ف. شارموى، الأستاذ بالمعهد الأسيوى فى بطرسبورج سابقًا والعضو فى أكاديمية العلوم الإمبراطورية فى مقدمته لكتاب شرفنامه الذى هو تاريخ الكرد :

بين الشعوب التى ظهرت على التوالى فى مسرح العالم شعوب تنقل ذكراها إلى أبناء الأجيال البعيدة بواسطة الآثار البعيدة التى تشهد على عظمتها القديمة كالشعب المصرى الذى يعد وطنه فى الوقت نفسه مهدًا للفلسفة، وهناك شعوب أخرى كاليونان والرومان استحقت إعجابنا بتقدمها فى الفنون والعلوم وحكمة قوانينها وأنظمتها السياسية بحيث أصبح اسمها مرادفًا لكل ما فى التاريخ من مظاهر العظمة والبسالة، وهناك أيضًا أمم لم تعرف نفسها إلا بمقدرتها على التدمير والتخريب اللذين قامت بهما فى جميع البلاد التى اجتاحتها قبائلها الظامئة إلى الدمار والمتعطشة إلى السلب والنهب هكذا كان الهون فى عهد آتيلا والمغول أو التتر الذين تركوا بقيادة الفاتح الشهير جنكيز خان ذكرياتهم مصطبغة بالدماء فى البلاد الواسعة التى اكتسحوها ظافرين .

ولا نجد شعوبًا كثيرة فى بسالتها وشجاعتها قد وصلت إلى ما وصل إليه الأكراد بمزاياهم الحربية وبسالة فريق من كبار قوادها الذين اكتسبوا لها الشرف والفخر بإجلاس بعض رجالها ملوكًا فى آسيا وأفريقيا كالكرد الذين اشتهر اسمهم فى أقدم عصور التاريخ بالأعمال المدهشة التى قام بها (رستم) الذى يعد بحق (هيركليز إيران) وبالأعمال العظيمة التى خلدت اسم صلاح الدين، وشقيقه الملك العادل، والتى غطت على شهرة أعظم ملوك وأباطرة أوروبا أمثال ريتشارد قلب الأسد، وفيليب أوجست، ولويزيانا وغيرهم من كبار رجال الحرب الذين تفخر بهم أوروبا المسيحية من الفرسان الذين دافعوا عن الصليب.

والأمة الكردية هى أيضًا التى أنجبت كريم خان الذى عاش فى النصف الأخير من القرن الثامن عشر، وكان يلقب بتيتوس إيران، كما أنجبت كثيرين من كبار المؤرخين والأدباء أمثال ابن الأثير من الجزيرة، وأبى الفداء الشهير ملك حماة الأيوبى الذى اشتهر كمؤرخ وعالم جغرافى، وكذلك المؤرخ الكبير إدريس البديسى.

* * *

اللغة الكردية وآدابها

إن اللغة الكردية لغة رشيقة متناسقة النبرات بسيطة صريحة غنية متنوعة يسهل تعلمها، وتمتلك النفوس برقتها، والأمثال فيها بديعة وكثيرة التداول جدًا فهى أساس جميع المحادثات ومحورها وهى فى الحقيقة من مميزات اللغة الكردية، فالكردى يستعمل الأمثال لكل شىء وفى كل موضوع، وهذه الأمثال هى نظام الحياة وقاعدتها فالطبيعة كلها تمر بها والحكمة الكردية رأت كل شىء وقالت كل شىء منذ القدم، واللغة الكردية لا تقل بلاغتها عن فلسفتها وهى لغة شعرية والشعر فيها يشمل جميع الفروع ويتناول الطبيعة كلها[1].

وقد اختلف العلماء والمؤرخون حول أصل اللغة الكردية هل هى إيرانية الأصل أم غير إيرانية، فالمستشرق سيدنى سميث ينفى كون اللغة الكردية مشتقة من الإيرانية، ويوافقه على هذا الرأى كُتَّاب كثيرون منهم أحمد فوزى حيث يرى أن اللغتين الكردية والإيرانية وإن اتصلت إحداهما بالأخرى إلا أنهما تختلفان عن بعضهما البعض فى المفردات وتركيب الجمل والنطق.. فالكردية حسب وجهة النظر هذه تتصل بمجموعة اللغات الشمالية الغربية فى إيران فى حين أن اللغة الفارسية الحديثة تتصل بمجموعة اللغات الجنوبية الغربية من هذه البلاد.

ورغم وجود بعض الإبداعات الأدبية من شعر وقصة وخلافه كتبت باللغة الكردية إلا أن عدم وجود حياة مدنية مستقرة وحكومة مركزية وطنية أدى إلى عدم وجود أدب قومى مكتوب ومسجل يحفظ اللغة الكردية من غزو اللغات واللهجات الأخرى ويساعد على توحيد اللهجات الكردية لذلك نجد أن اللهجات تختلف باختلاف القبائل الكردية بل باختلاف المناطق أيضًا، وتفسير ذلك أن هذه اللهجات قد نشأت من اللغة الميدية القديمة وتنقسم اللهجات الكردية تبعًا للتقسيمات السياسية إلى:

(١) القسم الشمالى: تنتشر فيه اللهجات الخاصة بشمال وغربى الخط المار بالشواطئ الجنوبية لبحيرة أورمية حتى منحنى الزاب الأكبر حيث يتحول مجراه من الجنوب الشرقى إلى الجنوب الغربى ثم إلى أسفل بموازاة مرور نهر دجلة.

(٢) القسم الجنوبى: وتنشر فيه اللهجات التى تتحدث بها قبائل الحدود الجنوبية لكردستان ويضم لهجتين رئيسيتين هما لهجة قبائل المكزى وسوريا ثم لهجة قبائل القسم السليمانى فى السليمانية وأردلان.

---

(١) الأجرومية الكردية للأب بول بندر طبعة باريس سنة ١٩٢٦.

أما فى دولة العراق فتختلف اللهجات باختلاف القبائل، فمثلاً القبائل التى تسكن بين نهر الزاب الأعلى وحدود وان الأرمنية (قبائل الباديتان) فتتكلم اللهجة الكرمانجيه أما لواء السليمانية فيتكلم أكراده اللهجة السورانية، وتختلف اللهجات عن بعضها اختلافًا جذريًا لدرجة أن الكردى قد يجد صعوبة فى التفاهم مع أخيه الكردى الذى يتكلم لهجة بعيدة عنه.

لذلك يبذل الأكراد محاولات مضنية لتوحيد اللهجات والعمل على جعل اللهجة السورانية (السليمانية) هى اللهجة السائدة واللغة الرسمية للأكراد، وبالفعل تم طبع بعض الكتب بهذه اللهجة كما صدرت بها بعض الصحف المحلية وجرت محاولات لوضع أبجدية للهجة السورانية لتعميمها على الأكراد، وقد بذل السيد توفيق وهبى عضو مجلس الأعيان العراقى السابق جهدًا خارقًا فى هذا المضمار، وقد انضم إليه بعض علماء اللغة الذين حاولوا وضع قواعد النحو والصرف للغة الكردية، ولأن اللغة العربية ومفرداتها تشكل ثلاثة أرباع اللغة الكردية فقد جرت محاولات لتنقية الكردية من هذه الكلمات الدخيلة وإحلالها بكلمات فارسية قديمة بدلاً منها وتشجيع الشعراء الوطنيين على استخدامها.

وهناك مجموعة أخرى من المستشرقين والمؤرخين على رأسهم لويس. هـ. جراى مؤلف كتاب أسس اللغات يرون أن اللغة الكردية هى لغة من المجموعة الهندية الأوربية للمجموعة الإيرانية الحديثة ويقسمونها إلى لهجتين أساسيتين:

(١) اللهجة الكورمانجيه Kurmanji :

وهى لهجة أغلبية الأكراد، ويتكلم بها أكراد تركيا وسوريا وبعض أكراد العراق (إقليم الموصل وزبار) وأكراد الإتحاد السوفياتى.

(٢) اللهجة الصورانية Sorani :

ويتكلم بها غالبية أكراد إيران والعراق (السليمانية - أربيل - كركوك).

كما توجد لهجات أخرى أقل انتشارًا وهى:

- **فيلى Feyli :**

ويتحدث بها بعض الأكراد فى إيران والعراق وفى مجتمعات بغداد وكوت العمار وبدرا.

- **جورانى Gerani :**

يتحدث بها قلة من أكراد العراق وإيران.

❖ **كلهورى Kelhori :**

ويتحدث بها قلة أخرى من أكراد العراق وإيران.

واللهجات الكردية هذه ـ فيما عدا الفارسية ـ هى المجموعة الوحيدة الكبيرة فى الحديث بالإيرانية اليوم وهى تمتد إلى ما وراء منطقة كردستان على حين يمكن التعرف على لهجات تركية منتشرة فى الولايات الفارسية خاصة مزنديران وفارس وخراسان[١].

ويقول رفيق حلمى فى محاضرته السابق ذكرها أن اللغة الكردية كسائر اللغات الآرية الشرقية متفرعة من البهلوية والسنسكريتية والميدية وكانت هذه اللغة تكتب قبل الإسلام من الشمال إلى اليمين بأبجدية مستقلة مشابهة للأبجدية الآشورية والأرمينية، ولكن بمجىء الإسلام أهملت هذه الأبجدية اكتفاء بالأبجدية العربية لأنها لغة القرآن.. وهى تنقسم إلى أربع لهجات هى الكرمانجية والجورانية واللورية والكلهرية.. واللورية هى أقرب اللهجات إلى اللغة البهلوية القديمة نظرًا لقرب مكان الألوار من مركز البهلوية الأولى ولعدم تأثرهم كثيرًا بالكلدان والآشوريين

ويأتى بعدها فى ترتيب القرب من اللغة البهلوية الكلهرية فالجورانية ثم الكرمانجية لأن اللهجتين الأخيرتين كانتا أكثر أخذًا وتأثرًا باللغتين الآشورية والكلدانية لمجاورتها لهما.

ومعروف أن أقدم اللغات الآرية على الإطلاق هى لغتا الزند والبهلوان (البهلوية) فاللغة الزندية كانت لتسجيل ونقش وكتابة الكتب الدينية المقدسة مثل (زند أوستا) وكانت متسيدة على المناطق الشمالية من هضبة إيران، وما زالت هى اللغة الدينية المقدسة عند المجوس كاللغة السنسكريتية المقدسة عند علماء الهنود.

أما لغة البهلوان (البهلوية) وتعنى لغة الأبطال المحاربين، فقد كانت منتشرة فى بقاع فارس وميديا الكبرى وعراق العجم، كما أن كتب المجوس الدينية ترجمت من الزندية إلى البهلوية التى أصبحت فيما بعد لغة الساسانيين، ويؤيد ذلك ظهور كتابات منقوشة بهذه اللغة يرجع تاريخها إلى ذلك العهد ولو أن الساسانيين بدأوا تدريجيًا يتخلون عن اللغة البهلوية الذين ورثوهم المجد والحضارة، واستعاضوا عنها بلهجة إقليم فارس (مقاطعة شيراز الحالية) وذلك لسهولتها.

وعندما خضعت البلاد الإيرانية للعرب بفعل الفتوحات الإسلامية ونشر الدين الإسلامى وسقطت الدولة الساسانية فى القرن السابع الميلادى ففقدت هذه اللغة قيمتها وأهميتها وزال

(١) كردستان أمة مقسمة فى الشرق الأوسط، س.س. جافان ص٢٦.

مجدها، ثم حاول الديالمة إحياء لغة أجدادهم اعتباراً من عام ٩٧٧م حاولوا بعث إحدى اللغات الإيرانية الثلاث فرأوا أن اللغة الفارسية قد تغيرت معالمها باختلاط كثير من الكلمات العربية وغيرها من اللغات، فاختاروا إحدى اللهجات ذات الموسيقى الرنانة العذبة وذات المعانى المتسعة وكانت هذه اللهجة مكونة من الفارسية شبه المندرسة واللغات القديمة مثل الزندية والبهلوية (الكردية القديمة) فسموها الفارسية الحديثة وهى الشائعة الآن فى إيران وإن بقيت الفارسية القديمة محفوظة بفضل كتاب شهنامة الشهير للفردوسى، وبفضل الكتب الدينية المقدسة عند المجوس.

نخلص من هذا إلى أن الأكراد من أقدم الأمم الإيرانية التى كونت حضارة عظيمة ظلت مزدهرة فترة من الزمن فى هضبة إيران الكبرى وامتد سلطانها من وادى السند شرقًا إلى وادى دجلة والفرات غربًا. . كما أن اللغة الكردية كانت لها السيادة تحت اسم اللغة البهلوية (أى لغة الأبطال المحاربين) فى جميع بلدان الإمبراطورية الإيرانية الأولى والتى قضى عليها الإسكندر المقدونى سنة ٣٣٣ ق.م والتى تمزقت فيما بعد إلى عدة دويلات صغيرة تولاها ملوك الطوائف الذين دارت رحى الحروب الطاحنة بينهم إلى أن استطاع ملك إقليم فارس (مقاطعة شيراز) التغلب على سائر الملوك وإخضاعهم تحت لوائه وأسس الإمبراطورية الإيرانية الثانية سميت فيما بعد بالدولة الساسانية وأطلق على كل ما هو قديم كلمة فارسى مع أن الإمبراطورية الفارسية الأولى كانت إمبراطورية كردية.

ومع أن الأكراد أظهروا تمسكًا وتعصبًا شديداً للإسلام وللغة العربية باعتبارها لغة القرآن وأكثروا مؤلفاتهم باللغة العربية أو باللغات الأخرى كالفارسية والتركية إلا أنهم لم ينسوا تعصبهم وتمسكهم باللغة الكردية الأصلية واستمروا فى استعمالها فى لغة التخاطب والتعامال اليومى والمكاتبات الشخصية وفى شرح العلوم التى كانوا يدرسونها فى مدارسهم العلمية، وامتد ذلك إلى تأليف الكتب فى مختلف العلوم والفنون، كما استخدموها فى نظم الشعر، وهناك مخطوطات كردية تؤيد مدى اتساع هذه اللغة ومطاوعتها وقدرتها على التعبير عن مختلف الأحاسيس والمشاعر والآراء والأفكار الإنسانية فى مختلف نواحى الحياة، ولو أن بعض المغرضين والمتعصبين يغالى فينكر الآداب الكردية بل ينكر أهمية اللغة الكردية، ولكن اللغة الكردية بالرغم من العوامل القوية الهدامة، وبرغم ما تعرضت له وما تعرض له الأكراد أنفسهم عبر تاريخهم الطويل ظلت محافظة على نفسها والدليل على ذلك

أن أكثر الأمم القديمة كالآراميين والفينيقيين والمصريين والبربر والكلدانيين والآشوريين نسوا لغاتهم الأصلية واستخدموا اللغة العربية بفضل الظروف الإجتماعية والسياسية والدينية، إلا أن اللغة الكردية رغم هذه العوامل والمؤثرات ظلت صلبة قوية وحافظت على أصولها وجذورها وتصدت لكل العواصف التى حاولت اقتلاعها.

ومثلما أسهم العلماء الأكراد فى جميع الأنشطة العلمية والسياسية والدينية والحربية قام أيضًا علماء الأكراد بوضع كثير من المؤلفات فى مختلف العلوم والفنون مثل الفقه وأصول الفقه والتوحيد والعقائد والتاريخ والتراجم والحديث والمنطق، وكانت هذه الكتب الهامة والمؤلفات الضخمة تدرس فى مدارس وجامعات بغداد والقاهرة والحرمين وأصفهان ودمشق ومراغة وحلب وتبليس وآمد وشهرزور وكثير من المدن الكبرى والمراكز الإسلامية العلمية فى عدة عصور كما كان علماء الأكراد يعدون بحق من فحول علماء العصور الإسلامية كرسوا جهدهم وحياتهم للتدريس والتأليف وخدمة الإسلام والمسلمين وقد أورد المؤلف المسيو الكسندر يابا فى كتابه الكبير الجامع والمسمى مجموعة ملاحظات وأخبار عن الكورد، كثيرًا من هذه الحقائق والمعلومات، ولم تكن تخلو أى ولاية أو مدينة كردية فى كل أنحاء كردستان من مدرسة أو مدرستين على الأقل تدرس العلوم والفنون باللغة الكردية المفترى عليها، وذلك بفضل ما كانت توفره الحكومات الكردية من حماية لهذه العلوم.. وكان الكبير والصغير من الأكراد متشوقًا إلى هذه العلوم متعطشًا إليها خاصة فى مناطق الجزيرة والعمادية وسوران وسعرد وغيرها لما كانت تضمه من أساتذة عظماء.. وكان على كل من يريد نيل الشهادة العالية (الليسانسيه) أن يجتاز بنجاح اثنى عشر علمًا مختلفًا أما الآن فقد زال كل ذلك وأصبح أثرًا بعد عين.

ونحن هنا إذ نورد بعض أسماء الكتب والمؤلفات التى وضعها العلماء والمؤلفون الأكراد لنضرب الأمثال فقط، ويكفى أن نقول أن عالمًا واحدًا هو الشيخ معروف النودهى العالم الكبير والجد الأعلى للشيخ محمود الزعيم الكوردى الكبير قد وضع وحده ٥٤ مؤلفًا كبيرًا..

ومن أهم كتب ومؤلفات علماء الأكراد التى أصبح لها شأن فى أمهات الكتب الإسلامية:

١ - الفوائد فى العقائد [فى علم التوحيد والكلام]

٢ ـ الفريدة فى العقيدة [فى علم التوحيد والكلام]
٣ ـ زاد المعاد فى مسائل الاعتقاد [فى علم التوحيد والكلام]
٤ ـ قطر العارض فى علم الفرائض [فى الفقه الإسلامى]
٥ ـ سلم الوصول إلى علم الأصول [فى أصول الفقه]
٦ ـ عقد الدرر فى مصطلح علم الأثر [فى علم مصطلح الحديث]
٧ ـ ترصيف المبانى فى نظم تصريف الزنجانى [فى نظم الشعر]
٨ ـ الشامل للعوامل [فى علم النحو]
٩ ـ الأغراب فى نظم قواعد الإعراب [فى النحو والصرف]
١٠ـ كفاية الطالب فى نظم كافية ابن الحاجب [فى الشعر]
١١ـ القطوف الدوانى فى حروف المعانى [فى البلاغة]
١٢ـ فتح الموفق فى علم المنطق [فى علم الفلسفة]
١٣ـ تنقيح العبارات فى توضيح الاستعارات [فى علم البلاغة]
١٤ـ نظم الرسالة العضدية فى الوضع [فى الشعر]
١٥ـ نظم آداب البحث [فى الأخلاق]
١٦ـ عمل الصياغة فى علم البلاغة [فى البلاغة]
١٧ـ فتح الرحمن فى علم البديع [فى البلاغة]
١٨ـ غيث الربيع فى علم البديع [فى البلاغة]
١٩ـ الجوهر النضيد فى علم قواعد التجويد [فى القراءات]
٢٠ـ فتح المجيد فى علم التجويد [فى القراءات]
٢١ـ تنوير البصائر فى التحذير من الكبائر [فى الأخلاق]
٢٢ـ روض الزهر فى مناقب آل سيد البشر [فى التراجم والأخبار]
٢٣ـ عقد الجوهر [فى التراجم والأخبار]
٢٤ـ نظم العروض [علم العروض]
٢٥ـ تخميس البردة [فى الشعر]
٢٦ـ تخميس بانت سعاد [شعر]
٢٧ـ تخميس لامية العجم [شعر]
٢٨ـ تخميس المضرية [شعر]

٢٩ـ تخميس يا من يرى [شعر]

٣٠ـ تخميس انعم عيشا [شعر]

٣١ـ تنوير العقول فى أحاديث مولد الرسول [فى التراجم والأخبار]

٣٢ـ تنوير القلوب فى مديح حبيب علام الغيوب [شعر]

٣٣ـ الأحمدية فى ترجمة العربية بالكردية [علم اللغة]

٣٤ـ الهمزية [شعر]

٣٥ـ تخميس الهمزية للبوصيرى [شعر]

٣٦ـ الجوهر الأسنى فى الصلوات المشتملة على الأسماء الحسنى [فقه]

٣٧ـ تنوير الضمير فى الصلوات المشتملة على أسماء البشير النذير [فقه]

٣٨ـ أزهار الخمايل فى الصلوات المشتملة على الشمايل [فقه]

٣٩ـ راحة الأرواح فى الصلوات المشتملة على خصائص حبيب الملك الفتاح [فقه]

٤٠ـ كشف الأسف فى الصلاة والسلام على سيد أهل الشرف [فقه وحديث]

٤١ـ كشف البأساء بأذكار الصباح والمساء [أوراد]

٤٢ـ فتح الرزاق فى أذكار رفع الإملاق وجلب الأرزاق [أوراد]

٤٣ـ شرح الصدر بذكر أسماء أهل البدر [فى رجال الحديث]

٤٤ـ الروضة الغنا فى الدعاء بالأسماء الحسنى [أوراد]

٤٥ـ التعريف بأبواب التصريف [صرف]

٤٦ـ شرح نظم الاستعارات [بلاغة]

٤٧ـ البرهان الجلى فى مناقب السيد على [تراجم]

٤٨ـ أوثق العرى فى الصلاة والسلام على خير الورى [حديث]

٤٩ـ إيضاح المحجة وإقامة الحجة على الطاعن فى نسب سادات البرزنجية

[وهو كتاب هام جداً ولكنه فقدت جميع مخطوطاته]

٥٠ـ السراج الوهاج فى مديح صاحب المعراج [أوراد وأدعية]

٥١ـ وسيلة الوصول إلى علم الأصول [علم أصول الفقه]

إلى جانب عدد كبير لا يعد ولا يحصى من دواوين الشعر باللغات العربية والفارسية والكردية[١].

---

(١) يراجع فى أسماء الكتب السابقة الاكراد منذ فجر التاريخ المحاضرة التى ألقاها رفيق حلمى على طلبة مدرسة الموصل.

وقد حفظت لنا ذاكرة التاريخ أسماء أخرى لعظماء من الأكراد أمثال رستم الذى اشتهر بأعماله الخارقة وكان يطلق عليه «هيراكليز» الكرد، وكذلك شيركوه الأيوبى وصلاح الدين الأيوبى وعبد الكريم خان الزند وأبو مسلم الخراسانى المؤسس الحقيقى للخلافة العباسية والأمير أحمد بن مروان الكردى الملقب بنصر الدولة والأمير ذوالفقار مؤسس الدولة الكردية فى العراق وبلاد عيلام والأمير حسين بك الأمير الكردى قائد الأسطول فى مصر(١).

والجدير بالملاحظة أنه برغم ما تعرضت له اللغة الكردية ورغم سياسة التحويل ورغم عوامل إعاقة وتعطيل الثقافة الكردية ورغم قلة المطبوعات الحديثة وعدم تشجيعها إضافة إلى التداخل الكبير بين الأكراد وجيرانهم إلا أن اللغة الكردية كما أسلفنا قد استطاعت أن تحتفظ بنقائها فرغم كثرة أولئك الأميين من الأكراد والذين يجهلون القراءة والكتابة وأصول الأبجدية إلا أنها يحافظون على سلامة لغتهم.

وجزء كبير من اللغة الكردية يعتمد على الفولكلور الكردى وما أبدعه أبناء هذا الشعب من أساطير وحكايات وأغان شعبية وأشعار حيث يكون الفولكلور الكردى ميراثًا ثقافيًا هامًا. وأكبر قصة معروفة فى كردستان هى قصة [Meme Alan] [ميمى آلان] وهى أسطورة شعبية ترجع إلى ما يقرب من ألفى سنة مليئة بالأحداث والحروب والبطولات إلى جانب الحب.

ويبرز الفولكلور الكردى ميلاً شديدًا إلى الاتجاه القومى والإشارات المتكررة إلى الأكراد وإلى وطنهم الكبير كردستان.

كما أن الأدب الكردى المكتوب باللغة الكردية يعكس هو الآخر الآمال والأمانى القومية للأكراد بالإضافة إلى إنعاش ثقافة جيرانهم كما عرف الأكراد المسرحية وألف الشاعر أحمد خان (١٥٩١ ـ ١٦٥٢م) مسرحية زينة والرجال (Men & Zin) وهى قصة عاطفية أسطورية تعتمد على الأسطورة الشعبية السابق الإشارة إليها ميمى آلان، فالأول بطلها ميمى والثانية زينة وهناك قصص غرام ملتهبة ومآسى مثل قصة روميو وجولييت الشهيرة كما كان هناك قدر كبير من الشعر لا سيما الشعر الفلسفى للشاعر على ترموكى كما أن الشاعر قادر كويبى كان معروفًا بقصائده الوطنية والسياسية الشهيرة لدرجة أن الحكومة التركية أصدرت ضده حكمًا بالإعدام وأمرت بحرق كتبه ومنعت نشر قصائده.. كما يعتبر الشعراء فايق مكسى وبرميد وجوران من رواد مدرسة الشعر المعاصر وقد نظم جوران أعمالاً شعرية ذات

(١) راجع كتاب السفن والملاحة فى مصر للدكتور على مظهر.

توجه وطنى قومى فقامت الحكومة العراقية بإعدامه.

وفى سوريا كان الشاعر الكردى سجر زوين يدرس علم اللاهوت فتركه وتفرغ لكتابة الشعر ومن أشهر دواوينه الشعرية «ثورة الحرية» الذى يضم مجموعة شعرية كبيرة من القصائد الوطنية القوية كما أن له كتاب (الراعى الكردى) الذى كتب فيه سيرته الذاتية وقد حقق نجاحًا كبيرًا بعد نشره فى أرمينيا.

والأدب الكردى بصفة عامة يعتبر أدبًا تحت الحصار أو تحت المراقبة لأن حركة التأليف تكاد تختنق بسبب حظر النشر المفروض على معظم مؤلفات الكتاب الأكراد، فهناك صعوبتان تواجهان الأدب الكردى:

الأولى : انتشار نسبة الأمية إلى حد كبير بين المواطنين الأكراد لعدة ظروف سياسية واجتماعية أو بسبب كثرة حركات التمرد والثورة على الحكومات المركزية، والتعليم يحتاج إلى استقرار معيشى وهذا شىء غير متوفر للمواطن الكردى.

الثانية : حظر النشر بسبب الرقابة على المطبوعات المفروضة على كل فكر كردى يهدف إلى إثارة النعرة القومية.. وبالتالى فإن المؤلف الكردى محاصر ومحدد بعدة أسوار، فأمام بنى جلدته يواجهه حصار اللغة وأمام جيرانه من العرب والمسلمين يواجهه حصار الرقابة على المطبوعات.

وقد عرف الأكراد الصحافة بصفة محدودة حيث صدرت أول صحيفة كردية Kurdistan سنة ١٨٩٢م.

كما عرف الأكراد عدة صحف ودوريات أخرى بعضها ما زال مستمرًا فى الصدور والبعض الآخر يصدر حينًا ويتوقف أحيانًا تبعًا للظروف السياسية:

* Roja Nu Sten وتصدر فى لبنان.
* Hawan & Rowbi وتصدر فى سوريا.
* Gelawej - Nizar وتصدر فى العراق.
* Kurdistan وتصدر فى إيران.
* Raya Taze Kovana وتصدر فى الإتحاد السوفياتى.
* Jin - Hetav - Hewa وتصدر فى العراق.

كما صدرت فى كركوك العراقية سنة ١٩٥٨ مجلة أدبية اسمها الشفق باللغتين العربية والتركية.

والصحف التى تصدر فى العراق هى صحف ثقافية أدبية ولا يسمح بصحف سياسية كما صدرت فى العراق عدة كتب كردية وهناك جمعية رسمية للموسيقى والأغانى الكردية ووضعت نواة لكلية لدراسة اللغة الكردية.

وقد عرف الإسلام عدداً كبيراً من الأعلام الذين أسهموا بجهد وافر فى الفكر والأدب نذكر منهم على سبيل المثال:

* على الحريرى: ولد سنة ١٠٠٩م فى بلدة حرير بسنجق أربيل وله ديوان شعر شهير كبير جداً، ودفن بقريته وهو علم معروف ويزار قبره إلى الآن.

* ملاى جزيرى واسمه الشيخ أحمد وهو شاعر كبير من أهالى بوطان وقد عرف بشعر الغزل إلى جانب شعر الإلهيات والتصوف وله ديوان كبير مطبوع، وقد توفى سنة ١١٩٠ بجزيرة بوطان (جزيرة بن عمرو) ودفن بها.

* فقيمه طيران واسمه محمود من أهالى قرية مكس ولد سنة ١٣٠٣ وله منظومتان كبيرتان باسم «الشيخ سناتى» و «حكايات برسيسا» وله ملحمة شهيرة باسم «كلمات الحصان الأسود» يتحدث فيها عن براق النبى ﷺ وهى ملحمة شهيرة ومتداولة، كما أن له مؤلفات أخرى فى التصوف وقد توفى سنة ١٣٧٦. ودفن بقريته مكس.

* ملاى باطى وهو الملا أحمد الشهير بالباطى نسبة إلى قرية باطة من مقاطعة حكارى التى ولد بها سنة ١٤١٧م وله ملحمة شعرية فى قصة مولد النبى ﷺ وله ديوان شعر مطبوع وقد توفى سنة ١٤٩٣.

* أحمد خانى: هو الشيخ العلامة والشاعر الكبير من عشيرة خانيان وصاحب ملحمة «زين وميمى» الشهيرة، وهى ملحمة قوية وجميلة تشبه إلياذة هوميروس، وقد ألف هذا الكتاب فى مدينة با يزيد سنة ١٥٩١ وله كتاب آخر معروف وضعه باللغتين العربية والكردية يسمى «نويهار» وله مؤلفات أخرى عديدة وظل يواصل كتابة مؤلفاته بالعربية والكردية والتركية حتى توفى ودفن بمدينة با يزيد.

* الأمير شريف خان من أمراء حكارى ولد سنة ١٦٨٩ فى بلدة جولمرك وله كتابات شعرية ونثرية كثيرة، وله باع طويل فى قرض الشعر، وله ديوان مطبوع، وقد توفى سنة ١٧٤٨ بمدينة جولمرك ودفن فيها.

* مراد خان من أهالى با يزيد ولد سنة ١٧٣٧ وله عدة مؤلفات وأشعار كثيرة فى الغزل والتصوف، وقد توفى سنة ١٧٨٤.

* علی الترموکی وهو من علماء الأکراد البارزین، وقد اشتهر باشتغاله بالتدریس، کان مولده سنة ١٠٠٠ هـ فی إحدی قری حکاری وکان له باع طویل فی العلوم والفنون، کما کان له ولع شدید بالتدریس، وهو مؤلف علم النحو والصرف الکردی، وله کتب فی علم الرحلات وصف فیها البلاد التی زارها.

* ملا یونس الهلکانینی وهو صاحب مؤلفات کثیرة منها رسائله الثلاث فی تعلیم اللغة الکردیة وقواعدها وهی کتب «التصریف» و «الظروف» و «الترکیب».

* الأدیب إسماعیل من أهالی با یزید ولد سنة ١٦٥٤ من الشعراء الأکراد الکبار له قاموس مشهور فی اللغات الکردیة والفارسیة والعربیة یسمی «کلمذار» وله أشعار قویة شهیرة باللهجة الکرمنجانیة وتوفی سنة ١٧٠٩م.

حقیقة هامة نود الإشارة إلیها وهی أن اللغة الکردیة تعانی تمزقًا بسبب اختلاف المکان، واختلاف الدول التی تحکم الأکراد مما جعل اللغة الکردیة تضم ثلاث مجموعات للهجاء حیث تکتب بثلاث أبجدیات فهناك أحرف الهجاء العربیة وتکتب بها اللغة الکردیة ویستخدمها أکراد العراق وإیران، خاصة وأن اللغة الفارسیة ذاتها تکتب بأحرف الهجاء العربیة.

الأبجدیة السیریلیة (نسبة إلی القدیس سیریل قدیس العنصر السلافی) وقد ظهرت فی القرن التاسع المیلادی ولا تزال تستخدم فی روسیا وبلغاریا وغیرها من البلاد السلافیة، ویستخدمها أیضًا أکراد الإتحاد السوفیاتی وأرمینیا وإن کانت قد خضعت لبعض التعدیل.

الأبجدیة اللاتینیة ویستخدمها أکراد ترکیا وسوریا وبعض المناطق العراقیة، ولا یفوتنا أن نقول أن الأتراك بعد کمال أتاتورك قد استخدموا هم أیضًا الأبجدیة اللاتینیة محل العربیة، وقد ساعد علی تحویل اللغة الکردیة من الأبجدیة العربیة إلی الأبجدیة اللاتینیة الزعیمان الکردیان الأمیر قمران[1]، والأمیر جلادت بدیر خان.

ویستریح الأکراد للأبجدیة اللاتینیة لبساطتها ولأنها تکتب حسب نطق الکلمات ولیس وفق قواعد صرفیة ونحویة.

غیر أن هناك محاولة لوضع أبجدیة کردیة مستقلة قام بها بعض الأکراد علی رأسهم توفیق وهبی عضو مجلس الأعیان العراقی فی وزارة صالح جبر، ولم ینته المشروع حتی الآن[2].

---

(١) کردستان أمة مقسمة فی الشرق الأوسط بقلم س.س. جافان ص٥٩.

(٢) قاسم والأکراد، بقلم أحمد فوزی ص٢٨.

وتجدر الإشارة إلى أن الكلمات العربية تشكل ثلاثة أرباع اللغة الكردية، وهناك محاولات مغرضة لرفع هذه المفردات العربية وإحلالها بكلمات فارسية قديمة.

وفى عام ١٩٣٢ وضع جلادت على بدرخان فى مدينة دمشق الأبجدية اللاتينية للغة الكردية، وقد طبع بها صحيفته هاور (الصرخة) باللغة الكردية، وكان رئيسًا لتحريرها ويعاونه أخوه الدكتور كاميران إلى جانب عدد من الأدباء منهم نور الدين ظاظا وعثمان صبرى والشاعر حكر خويد.

وأبجدية جلادت تضم ٣١ حرفًا وسرعان ما نشرها كاميران فى بيروت عام ١٩٣٨ ووزعت بين أكراد سوريا ولبنان وتركيا ثم انتشرت فى باقى البلاد العربية عن طريق المجلات والجرائد.

* * *

الدين .. والعقيدة

١ - المسلمون

الإسلام هو الدين الأساسى للأكراد بعد أن تحولوا من الزرادشتية إلى الإسلام، وقد أسهم الإسلام بشكل كبير فى تأليف المجتمع الكردى وتطوير عقيدته، ولم شمل أفراده، وقد أعطى الأكراد للإسلام خدمات جليلة خاصة فى القرنين التاسع الميلادى والثالث عشر الميلادى، ويأتى صلاح الدين الأيوبى على رأس الشخصيات البارزة التى تفانت فى خدمة الإسلام والمسلمين. . ومثلما يوجد أكراد سُنَّة يوجد أيضًا أكراد شيعة، وهم محافظون على شعائر دينهم.

كما أن التصوف منتشر إلى حد كبير بين الأكراد ويمارسونه بطقوس وأوراد وأدعية خاصة كما أنهم يشهدون حلقات الأذكار ويتمايلون على الدفوف والآلات والصوفى يسمى (درويش) مثلما يطلق عليه فى مصر، وهناك جمعيات تصوف منتشرة بين الأكراد مثل جمعية النقشبندى وجمعيات قادرى ورؤساء هذه الجمعيات عادة من كبار المشايخ خاصة الطريقة القادرية.

وإلى جانب الإسلام توجد عقائد أخرى مثل عبدة الشيطان أو اليزيديين وهم طائفة من الأكراد اعتنقوا ملة خاصة يمارسون فى سبيلها بعض الطقوس الشاذة واعتبروها سرًا من أسرارهم الخاصة وقد حاولنا الوقوف على بعض أفكار هذه الجماعة وطقوسهم ولكن الفشل كان دائمًا حليفنا ولا نملك إلا أن نلقى بصيصًا من الضوء على هؤلاء القوم من عبدة الشيطان. .

* * *

٢ - عبدة الشيطان

عبدة الشيطان أو مطفئو القناديل لقب يطلق على طائفة من الأكراد تسكن فى شمال غرب العراق، وعلى وجه الخصوص فى قضاء شيخان فى لواء الموصل على جبال السنجار على بعد ١٦٠ كيلو متراً غربى مدينة الموصل وينتشر عدد منهم فى منطقة ديار بكر بتركيا، وحلب بسوريا، وفى أرمينيا السوفياتية قرب تفليس ومجموع عددهم حوالى ثلاثة أرباع المليون تقريبًا موزعين على المناطق سالفة الذكر.

وعبدة الشيطان يسمون اليزيديين وقد تكون هذه التسمية نسبة إلى مدينة (يزد) الإيرانية ويرى البعض أنها نسبة إلى يزيد بن معاوية الجد الأكبر لشيخهم عدى بن مسافر الدمشقى الأموى، وإن كانت المقولة الأخيرة أبعد ما تكون عن الترجيح لأنه كان الأولى أن تكون الأمويين أو المعاويين لأن يزيد أقل شهرة.

اليزيديون طائفة من الأكراد لها طقوس ومراسم وعبادة خاصة بهم وكانت اليزيدية هى الديانة الأولى التى ينتمى إليها غالبية الأكراد قبل اعتناقهم الإسلام وبعد انحسار الزرادشتية فهى الديانة الوسطى.

واليزيديون يعبدون الشيطان ولا يتلفظون باسمه إجلالاً وتقديسًا له وهم يحرمون التنحنح والبصق كما يحرمون أكل الخس والقرع والسمك والديك والغزال، ولهم فى ذلك آراء ومعتقدات.. كما أنهم يسجدون للشمس كل صباح وينحرون لها الذبائح والأضحية التى تذبح كقرابين للشمس هى عبارة عن ثور أبيض.. وعندما تسطع الشمس كل صباح يخرون لها ساجدين ثم يقبلون أعلى حجر تسقط عليه أشعة الشمس الأولى.

وعبدة الشيطان لهم تقويم خاص بهم يسمى التقويم اليزيدى وتسمى سنتهم السنة اليزيدية، ويحتفلون برأس السنة اليزيدية الذى يصادف أول يوم أربعاء فى شهر نيسان أبريل حيث يزورون مقام شيخهم الشيخ عدى بن مسافر الدمشقى الأموى الملقب بصديق الله. وهو متطرف ولد فى سوريا بين ١٠٧٣ و ١٠٧٨م وله كتاب يشرح فيه عقيدته اليزيدية وواضح من عباراته وأفكاره إلحاده وزندقته وارتداده عن الإسلام مثل قوله: (إن الله هو الذى خلق الشيطان والذى يخلق الشيطان كائن غير مقتدر إذن لا يمكن أن يكون إلهًا).

واليزيديون أو عبدة الشيطان يعمدون الذكور مثل المسيحيين ويختنونهم مثل المسلمين كما أن الرجال يتزوجون بأكثر من امرأة.

وهم يتكلمون لهجة خاصة بهم تمزج بين اللغة العربية واللغة الفارسية.

٣ - أهل الحق

طائفة أخرى من الطوائف الكردية وإن كانت عقيدتهم قد جاءتهم من خارج الأراضى والمجتمعات الكردية إلا أن كثيرًا من الأكراد ينتمون إليها لا سيما من غلاة الشيعة.

وتقوم عقيدتهم على تأليه الإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ ويسمون أيضًا جماعة «على إلهى» أو العلالاوية، وهى مسميات مشتقة من صلب عقيدتهم التى تؤمن بألوهية الإمام على، كما أنهم يؤمنون بالتقمص وتناسخ الأرواح والحلول.

وجماعة أهل الحق ينتمون إلى قبائل فيشى من عشيرة الكلحور التى تعيش منذ أجيال على الضفة الجنوبية من كردستان الفارسية على حدود إقليم كرمنشاه والسنجابى.

وجماعة أهل الحق متزمتون يؤمنون بعقيدتهم إيمانًا مطلقًا، وهم مثل دراويش الصوفية لهم حلقات ذكر وأوراد وأدعية، كما أنهم ينتشون بذكر الله وتأخذهم حالات من الهوس والصرع، ولهم أعياد ولهم شهر صوم.

* * *

الباب الثانى

القضية الكردية

إن تسمية كردستان بمفهومها الجغرافى والقومى لم يظهر إلا فى عصر السلطان سنجر السلجوقى آخر سلاطين الدولة السلجوقية حيث جعلها ولاية مستقلة وجعل قلعة بهار عاصمة لها وبسطت نفوذها على همدان ودیناور وكرمانشاه فى شرق جبال زاجروس وشهرزور وسنجاب وغرب هذه الجبال، فى حين أن العرب قديمًا كان يطلقون اسم الجبال على القسم الحالى لكردستان العراقية ومنطقة كردستان وهمدان وكرمانشاه الإيرانية بينما يطلقون اسم الجزيرة على الجزء التركى منها.

ولكن المسألة الكردية بدأت عندما بدأت العصبية تتحول إلى نزعة قومية، ونحن لا ننكر على الأفراد أن تنشأ لديهم النزعة العصبية فإن العرب كانت لديهم العصبية القبلية والعشائرية ونحن لا ننسى المعارك الدامية التى نشأت بين القبائل العربية ونذكر منها على سبيل المثال المعارك الضروس بين قبيلتى بكر وتغلب، وهم أبناء عمومة ومن نسل واحد هو «وائل» بن ربيعة، كذلك الصراعات الدامية بين الأوس والخزرج، وحروب عبس مع ذبيان ثم مع طىء معروفة للجميع، ثم التفرقة التى وقعت بعد ذلك بين العدنانيين والقيسيين حتى عندما وقعت المحنة الكبرى بين المسلمين فى حروب الردة راحت العصبية القبلية تمزق المسلمين من جديد لولا حزم الخليفة أبى بكر، وعندما وقعت الفتنة الثانية بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان راحت العصبية تطل برأسها من جديد.. وكانت جيوش المسلمين فى كثير من المعارك موزعة توزيعًا قبليًا فيقال أمير الجيش هو فلان.. ثم يقال الميمنة وتضم قبائل كذا وكذا وأميرها فلان، والميسرة تضم قبائل كذا وكذا.. يعنى ذلك أن تقسيم الجيوش فى المعارك كان يوزع توزيعًا قبليًا مما يعنى أن العصبية القبلية لم تمحُ تمامًا.. ولدى الأكراد بدأت العصبية القبلية تتحول إلى عصبية قومية وتحولت هذه النزعة إلى محاولة البحث عن وطن وما نتج عنه من رغبة فى تقرير المصير والبحث عن الحرية والنزعة الإستقلالية وحكم الشعب نفسه بنفسه.. كل ذلك معانى راحت تتلاقى أحيانًا وتتباعد أحيانًا أخرى لتتبلور فى فكرة البحث عن وطن واحد جغرافيًا وقوميًا وتتحول العصبية القبلية إلى النزعة القومية المركزية الباحثة عن وطن أم.. وهذه النزعة هى سلوك إجتماعى خرج من الفكر الوجدانى الناشئ من العلاقات الإجتماعية النامية والمتجهة نحو التفكير المفرط نحو خلق مجتمع شامل متسع تذوب تحت مظلته الجماعات الصغيرة المتعددة لتذوب العصبية القبلية فى مفهوم القومية المركزية فتختفى الطبقية والحرفية والعنصرية والدينية والطائفية وتطفو على السطح فقط المركزية القومية، وهى ما يطلق عليها الروح الكلية أو الجماعية التى تولدت عنها فكرة

حق هذا الشعب فى السيادة على أراضيه.

وقد بدأ العلماء يتدارسون هذه الفكرة بتوجهاتها السياسية والنفسية والإجتماعية حيث ظهرت هناك مدرستان.

* المدرسة الفرنسية: وتعتمد فيها القومية على أساس تشكيل الدولة بين مجموعة من الناس على قطعة من الأرض وعلى هذا الأساس تمخض المفهوم الدولى والذى على أساسه تشكلت هيئة الأمم المتحدة وعلى أساسها أيضًا بدأت بالإعتراف بـ ١٧٥ دولة هى دول العالم.

وهذه النظرية إن صحت سياسيًا فهى مرذولة اجتماعيًا وواقعيًا لأنها تغفل الحقائق القومية والوطنية داخل الأقطار المختلفة مما يؤدى إلى صراعات داخلية مثل الواقع الآن فى يوغسلافيا وجمهوريات الإتحاد السوفياتى أو حتى روسيا الحالية.

* النظرية الألمانية: والتى تستند إلى العنصر القومى وتضع فى اعتبارها عدة عناصر مثل التقاليد والأعراف واللغة والعقائد وغيرها، وباعتبار هذا المفهوم فإن كل مجموعة من البشر لهم عرقية واحدة ولغة واحدة ودين غالب واحد يشكلون شعبًا واحدًا، وعلى هذا يتم تقسيم البشر على الكرة الأرضية بالشكل الطبيعى لا بالشكل السياسى.

ويعاب على هذه النظرية أيضًا أن هناك بعض القوميات قامت على عدة شعوب مختلفة مثل السويد وسويسرا وغيرها وكذلك الدول الإسكندنافية حيث أصبح من الصعب التفرقة بين هؤلاء الأقوام على أساس العناصر العرقية بعد أن ذابت العرقية فى القومية الجديدة.

ومن خلال النظريتين الفرنسية والألمانية نشأت نظرية ثالثة هى النظرية الواقعية التى تعتبر إرادة التعايش الجماعى فى فصل تاريخى طويل أساسًا لخلق قومية جديدة بمعنى أن الشعوب التى تعايشت معًا فى عصور وأحقاب تاريخية طويلة وتقاسموا الأفراح والأتراح والآمال والآلام أصبحت هذه الشعوب تشكل قومية جديدة مع إغفال عنصر الإشتراك فى اللغة والعقيدة. وعلى هذا الأساس كانت النظرة القومية للشعوب الإيرانية بما فيهم الأكراد.

فرغم أن الإيرانيين يضمون فيما بينهم شعوبًا مختلفة مثل الفرس والترك واللور والكرد والبلوج والعرب والتركمان إلا أن مجموع هذه الشعوب قد جمعت بينها رغبة التعايش المشترك عبر حقبة من التاريخ طويلة أذابت هذه الشعوب وصهرتها فى بوتقة القومية المركزية، وإن كان بعض المؤرخين يعتبر أن القومية الإيرانية المركزية ضعيفة بسبب اعتمادها على هذه النظرية رغم أن العوامل الأساسية المشكلة للهوية الإيرانية غالبة كاللغة الفارسية

والعقيدة الدينية المشتركة والتاريخ العام المشترك للمنطقة، إلا أنه بالنظر إلى عمق المجتمع نجد أن هناك بعض العوامل الفارقة.. كما كانت هناك حروب دامية بين بعض هذه الشعوب. وحاليًا استقر جزء من هذه الشعوب داخل الحدود السياسية الرسمية للدولة مثل الأكراد الذين يعيشون فى أكثر من ثلثى المناطق الكردية فى العراق وتركيا، أو الأذربيين فى جمهورية أذربيجان، أو التركمان الذين يقع جزء كبير منهم فى جمهورية تركمنستان، أو الفرس والطاجيك الذين يعيشون فى أفغانستان وطاجيكستان، لذلك كانت إيران دائمًا معرضة لأزمات عسكرية وسياسية خاصة فى المناطق الحدودية مثلما حدث عندما قامت الدولة الكردية فى جمهورية مهاباد فى كردستان الإيرانية، وجمهورية أذربايجان خلال الحرب العالمية الثانية، وأزمة بلوخستان سنة ١٩٧٠ أو الحروب التاريخية المعروفة فى تركمنستان والأزمات الحدودية فى بداية حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران وادعاء العراق ملك خوزستان سنة ١٩٨١.

من خلاصة ذلك اتضح أن اللبس الذى ظهر فى المسألة الكردية أساسه وجود عدة مفاهيم حول القومية، وهى أربع: الوطنية ـ القومية ـ الإسلامية ـ العالمية.

فالهوية القومية هى الظاهرة التى تمنح نوعًا من التضامن والترابط الخاص لمجموعة من الأفراد وعلى أساسها يطلق اسم الكرد على مجموعة والبلوج على مجموعة أخرى، أما الهوية الوطنية فهى نفس الظاهرة التى تخلق التضامن بين الشعب فى سائر مناطق إيران، والتى يمكن على أساسها الفصل بين الإيرانى والباكستانى والعربى، وفى أحيان كثيرة تنطبق هذه الهوية الوطنية على الهوية القومية وقد لا تنطبق فى أحيان أو مواقف أخرى. ويسبق العنصر القومى العنصر الوطنى فمن الملاحظ أن الكردى يفتخر بكرديته قبل أن يفتخر بوطنيته الإيرانية، وهكذا نجد أن القومية هى الشعور الأغلب من الوْطنية لدى المواطن داخل الوطن الواحد.

ولكننا على مدار التاريخ لاحظنا كيف أن الإسلامية استطاعت أن تصهر فى بوتقتها القومية والوطنية فى وقت واحد لدرجة أنه حتى عندما استطاع الأكراد أن تقوم لهم دولة فتية فى عصر صلاح الدين الأيوبى إلا أن الإسلامية كانت لا تزال مسيطرة ومتغلبة ومحتوية للشعور القومى والوطنى، وقد استطاع عدد كبير من المصلحين والزعماء الدينيين أمثال جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ومحمد إقبال والإمام الخمينى والمطهرى وغيرهم خلق هوية دينية إسلامية كبرى ذابت فيها العرقية والقومية، ولذلك فقد كانت الثورة

الإسلامية وانتصارها وتأسيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية تعتمد على العقيدة الإسلامية قبل القومية أو الوطنية الإيرانية.

أما الهوية العالمية المثالية فهى تعنى افتراضية دخول جميع البشر فى مجتمع واحد فى مرحلة متقدمة من المدنية وفق أعراف وآداب وتقاليد وهيئات ومؤسسات تحفظ لجميع الأفراد جميع الحقوق والواجبات، وهذه النظرية وإن كانت لا تزال بعيدة المنال إلا أن العالم يمهد لها بإنشاء بعض الهيئات الدولية مثل الأمم المتحدة.

وقد قسم المؤرخون التاريخ السياسى للأكراد إلى ثلاث مراحل كانت فاصلة وقاسمة بين بعضها البعض وهى:

المرحلة الأولى : من البداية حتى موقعة جالديران بين الفرس والأتراك.

المرحلة الثانية : من موقعة جالديران حتى الحرب العالمية الأولى.

المرحلة الثالثة : من الحرب العالمية الأولى حتى الآن.

فقد نشأت عن ذلك تغيرات هامة على المستوى السياسى والجغرافى فموقعة جالديران أسفرت عن هزيمة إيران وانتصار الدولة العثمانية، وبذلك خضعت معظم مناطق كردستان للسيادة العثمانية. . وبهزيمة تركيا فى الحرب العالمية الأولى ومرور أربعة قرون على موقعة جالديران انهارت الإمبراطورية العثمانية على يد دول الغرب إنجلترا وفرنسا وروسيا، وتقسمت كردستان إلى قسمين كبيرين أحدهما فى تركيا والثانى فى إيران وقسمين صغيرين فى روسيا وسوريا.

المرحلة الأولى

وهى مرحلة البداية حتى موقعة جالديران وهى المرحلة البدائية للقبائل الكردية وصراعها القومى من أجل البقاء والعيش وتحقيق الذات على الأرض التى كانوا يسيطرون عليها منذ استقرارهم بإيران فى سفوح سلسلة جبال زاجروس وجبال أرارات، ويمكن أن نقول أن حياة الأكراد فى هذه المرحلة لا ينفصل بأى حال من الأحوال عن حياة الإيرانيين أو تاريخهم.

وكانت تسيطر على الأكراد أساليب الحياة القبلية تحكمهم عاداتهم وتقاليدهم الخاصة.

ولكن الوضع الجغرافى والسياسى للأكراد جعلهم تحت فكى ضغط الكماشة بين صراع القوى العظمى الإمبراطورية الإيرانية من ناحية والإمبراطورية الرومانية من ناحية أخرى ثم الإمبراطورية الناشئة الناهضة من ناحية أخرى وهى الإمبراطورية العربية الإسلامية التى أخذت فتوحاتها المتعددة تتدفق بقوة نحو الشرق خاصة بلاد السند والهند، وتمكن القواد

العرب البواسل من فتح بلاد إيران وانتصروا على الجيوش الإيرانية فسقطت الإمبراطورية الإيرانية ودخلت جميع البلاد فى دائرة النفوذ العربى الإسلامى، وكان حتميًا أن يدخل الأكراد ضمن هذه السيادة وإن كانوا آخر القوى التى استسلمت للعرب بفضل تمسكهم بأراضيهم حرصًا على المراعى.

وتؤكد المصادر التاريخية أن مقاومة الأكراد للفتوحات العربية كانت قوية وشديدة ودامية حتى أن المرزبان الإيرانى الحاكم لأذربيجان الذى كان فى أربيل ووقع على معاهدة الاستسلام للعرب كان من بين الشروط التى وضعها فى وثيقة التسليم أن يحتفظ الأكراد بحريتهم الشخصية فى أداء شعائرهم الدينية وعاداتهم وتقاليدهم، وقد اضطر العرب للموافقة على هذا الشرط. وقد ظل الأكراد ردحًا من الزمن وقبل اعتناقهم الإسلام يشكلون قلقًا شديدًا للعرب بما يثيرونه من قلاقل واضطرابات حيث كانوا يتحينون الفرص فيشنون الغارات فى مناطق كرمانشاه وكنجاور ويعيشون كقطاع طرق ضد الفاتحين العرب حتى أن العرب كانوا يسمون تلك المناطق «قلعة اللصوص».

وبدخول الأكراد ضمن مناطق وجغرافية الدولة الإسلامية كان من الطبيعى أن يجدوا أن الواقع السياسى قد تغير وأصبحت الخريطة السياسية تضم الحقائق الآتية:

أولاً : لم تكن الدولة الإسلامية تطرح فكرة الشعوبية أو القومية وإنما كان هناك عنصران المسلمون والذميون أو دار الإسلام وهى المناطق التى أسلم سكانها ودار الكفار أو دار الحرب وهى البلاد التى لم يدخل سكانها فى الإسلام.

ثانيًا : كانت اللغة العربية هى اللغة الرسمية للبلاد واللغة العامة للآداب وللفكر الدينى كما أنها لغة القرآن الكريم وهو الدستور الدينى والدنيوى للدولة الإسلامية.

ثالثًا: إن السيادة فى كل الأمور هى لله فى السموات والخليفة على الأرض وجميع التكاليف من الأوامر والنواهى هى نابعة من هاتين السلطتين، كما أن المسئولية الدينية والدنيوية هى لهاتين السلطتين وفيما عدا ذلك فالناس متساوون فى الحقوق والواجبات ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى، ولا فضل لأبيض على أسود إلا بالتقوى، ولا سلطة لمرازبة أو دهاقين أو نبلاء أو رؤساء قبائل أو عشائر. . كل هذه المفاهيم كانت سبيلاً إلى تآلف النفوس وتهيئة المجتمعات لدخول عصر جديد وعهد جديد مما مهد لدخول الشعوب التى خضعت للفتح العربى فى الإسلام فتمسكوا بالدين الجديد واستبسلوا فى الدفاع عنه والتصدى لأعدائه ومنه تصديهم الشديد للمغول وحماية حدود الدولة من جهة

الشرق ووضع أنفسهم كخط الدفاع الأول أو كحائط صد ضد موجات الغزاة الذين استهدفوا الإمبراطورية الإسلامية.

كما يتجلى بلاء الأكراد الشديد فى الدفاع عن الإسلام والمسلمين واستبسالهم فى سبيل رفعة راية الله أكبر عندما قام صلاح الدين الأيوبى بتأسيس أول دولة إسلامية قامت أول ما قامت على العنصر الكردى وعلى الجنود الأكراد ثم الأتراك ورغم ذلك لم يعلن قيام دولة الأكراد، ولكن ذابت القومية الكردية ضمن الإسلام والمسلمين، وكان أول ما فعله صلاح الدين هو التصدى لموجات الغزو الصليبى المسيحى الذى استهدف القضاء على المسلمين ومحاولة انتزاع بيت المقدس تحت شعارات طائفية مغرضة.

وقد ضم صلاح الدين إلى ملكه مصر وسورية وجزءًا من بلاد ما بين النهرين وخيلدت على ساحل بحيرة فان.

وفى ظل راية الإسلام شكل الأكراد حكومات أخرى عديدة مثل دولة الشداديين فى كردستان الشمالية التى أرست قواعدها سنة ٣٤٠هـ وكذلك قامت حكومة أمراء ديناور وشهرزور ومنهم الحسن وآل يحيى سنة ٣٤٨هـ، واستطاع الأكراد المروانيون أن يبسطوا نفوذهم على ديار بكر وبعض مدن أرمينية من سنة ٣٨٠ وحتى سنة ٤٨٩هـ كما امتد سلطان أمراء بنى أناز فى منطقة جبال الأيوبيين من سنة ٣٨٠ حتى ٥١٠هـ (١١٦٩ - ١٢٥٠م).

وهذه الدويلات الصغيرة ليس لدينا معلومات كافية عنها ولكن من المعلوم تاريخيًا أنها إمارات كردية أنشأها أمراء الأكراد.

وهناك ملاحظة هامة تجدر الإشارة إليها وهى أن تسمية كردستان لم يعرفها العرب بشكلها الجغرافى الحالى إلا فى فترة متأخرة، وقد كان العرب يطلقون على كردستان العراقية الحالية وهمدان وكرمانشاه فى إيران منطقة الجبال العالية، أما كردستان التركية فكانت تسمى الجزيرة، ولم تكن قد تبلورت تسمية كلمة كردستان الحالية بمفهومها الجغرافى الشامل الذى يربط بين الجغرافيا والتاريخ وأن يربط بين الموقع والشعب والقومية.

ولم يصبح اسم كردستان بمفهومه الواسع الجغرافى والسياسى والقومى معلومًا إلا فى عهد السلطان سنجر السلجوقى.

يقول المستشرق نيكتين إن اسم كردستان أو أرض الأكراد ليس اسم بلد مستقل ومحدود بحدود سياسية معينة يحيا داخلها شعب له نفس الجنس والدم وإن كان بغير صورة كاملة

إلا أن أكثريتهم لها نفس الأصل والمبدأ العنصرى الواحد ويجب ضمنًا أن نعرف أن هذا الاسم لم يظهر له أثر حتى القرن الثانى عشر الميلادى ولم يطلق إلا فى عهد السلطان سنجر آخر السلاطين السلاجقة العظام الذى خلق هذه الولاية وجعل عاصمتها قلعة بهار فى شمال همدان الغربى حيث ضمت هذه الولاية همدان وديناور وكرمنشاه فى شرق جبال زاجروس وشهرزور وسنجاب فى غرب هذه الجبال[1].

وقد كانت اللغة الكردية أحد أهم عناصر الصراع فى المسألة الكردية ودخلت فى دائرة القومية والوطنية والمواطنة. . وكان أساس هذا الصراع هو الإجابة عن سؤال مهم وهو هل الكردية لغة أم لهجة؟. . هل هى لغة مكتفية بذاتها ليس فى مجال التخاطب فقط بل من ناحية الثروة العلمية والفلسفية والفكرية وهل هى فرع من فروع اللغة الفارسية أم أنها لغة مستقلة، وهل علاقتها باللغة الفارسية هى علاقة الابن بأبيه أم تشبه علاقة أبناء العمومة أو أبناء الأسرة الواحدة؟.

وقد قام الدكتور طبيبى أستاذ قسم الأنثربولوجى بجامعة طهران بإعداد دراسة هامة أكد من خلالها أن اللغة الكردية التى يتكلم بها اليوم كثير من سكان النواحى الغربية والشمالية الغربية والجنوبية الغربية وطوائف عديدة فى شمال إيران وغربها وبعض القبائل فى شمال تركيا وشرقها وفى العراق وفى قسم من سوريا وقبائل القوقاز هى بلا شك أو شبهة من اللغات الهندية والإيرانية وأحد فروع الفارسية القديمة، وهذه اللغة بصورة مطلقة لغة متداولة بين جميع القبائل والعشائر الكردية مع اختلاف فى النطق وبعض المصطلحات والتعبيرات بحيث يختلف نطق قبيلة مع أخرى من الأكراد، فمثلاً لا يفهم واحد من سكان أورامانات والذى يتحدث باللهجة الأورامية شيئًا من لغة أهل عرقة من قبيلة منجور فى شمال كردستان إيران والعكس، ولهذا انقسمت هذه اللغة فى ناحية كردستان المتسعة سواء فى إيران أو خارجها إلى فروع، وكل فرع بدوره لهجات متعددة حتى سبب هذا الاختلاف بين الأفرع واللهجات إلى اعتقاد بعض الدارسين وعلماء اللغات إلى أن الكردية لغة غير إيرانية وأرادو كذلك محاولة التشكيك فى أن العرق الكردى ينتسب أصلاً إلى العرق الإيرانى، وهم يشكون أصلاً فى الأصل الإيرانى للغة الكردية.

أما الدكتور رشيد ياسمى فيقول أنه قد ظل حتى أيامنا هذه أكثر نواحى كوردستان يقصد كردستان العراق وتركيا لا يستخدمون فى مكاتباتهم وتأليفاتهم لغة غير الفارسية،

---

(١) نيكتين ص٧٥.

ويستخدمون الكردية فى الحديث بداخلهم ولا يزال المسنون والمتعلمون يحررون رسائلهم بالفارسية، وللمثال نذكر وضع السليمانية العراقية وهى مركز الأكراد الذى ضم إلى العراق الحالى. فاللغة السليمانية كلغة كردستان إيران (ويفان وسقزوبانه ومهاباد وسنندج) إلا اختلافًا بسيطًا فى اللهجة، كانت كافة المعاملات والعقود والأوامر وعقود الزواج تكتب بالفارسية وكانت لغة الدراسة حتى ١٩٢١ هى الفارسية حتى أنهم كانوا يدرسون الكتب الفارسية فى المدارس الإبتدائية الحكومية مثل ميزان التعليم للشيخ عبد الكريم البوشهرى وبعد ذلك العام سعوا إلى جعل الكردية لغة الكتابة بدل الفارسية، ولهذا تكتب الكردية فى المدارس الحكومية والدوائر الرسمية لكن كتبًا فارسية لا تزال تدرس فى الكتاتيب الأهلية مثل نصاب الصبيان وكليات سعدى وديوان حافظ وخمسة نظامى وكتب الجامى وعطار ونان حلوا للشيخ البهائى وغيرها.

يقول طبيبى فى شأن اللغة الكردية أنها كانت لغة أخرى لها شعب ولهجات عديدة والأدلة التى سبقت على اختلاف اللهجات الكردية منها أن الكردية ليس لها رصيد معتبر من الكتب العلمية والأدبية والتاريخية ولهذا السبب ارتهنت بمرور الزمان بتغييرات كثيرة وشاعت بين كل عشيرة وقبيلة مصطلحات وكلمات خاصة لا توجد فى الشعوب الأخرى الكردية أو تختلف فى الحديث.. ثم سببت صعوبة الطرق وطبيعة سكنى القبائل الجبلية وضيق العلاقات بينهم فى أن يكون لكل طائفة وقبيلة لهجة خاصة بها، وأخيرًا دخل كثير من الألفاظ من التركية والعربية بعض اللهجات الكردية بسبب مجاورتهم لغير الإيرانيين من الترك والعرب. ومع هذا فقد كانت هذه الاختلافات فى اللغة بين القبائل الكردية مشهورة منذ قديم الأيام كما يذكر المسعودى فى مروج الذهب قائلاً: أن لكل طائفة من الكرد لسان خاص.. وتقرأ أيضًا فى شرفنامه: طوائف الكرد على أربع ولغة كل منها وآدابها يغاير بعضها بعضًا، الأولى كرمانج والثانية اللور والثالثة مكهر والرابعة الجوران.. فاللغة الكردية أربعة فروع أصلية فرع الكرمانج الشمالية - فرع الجرمانج الجنوبية - فرع الكردية الكرمانشاهية - فرع الأورامانية والجورانية[(١)].

فإذا انتقلنا إلى العرقية الكردية نجد هناك عنصرًا آخر من عناصر تمييز الأمة والوطن والعرق وعندما نتطرق للحديث عن العرقية يوجد مسلكان فى دراسة عرق أى أمة فى الأول يعتمد على الأساليب المعملية والظواهر الفيزيقية، وفى الثانى لا يعتمد على

(١) كردستان تاليف طبيبى ص١٢ إلى ٢٤.

الأساليب التجريبية وحسب بل تستخدم سائر الفروق الثقافية كللغة والعادات والتقاليد وغيرها، ويقول ياسمى فى هذا: يوجد أسلوبان علميان فى تصنيف الأمم الأول يضع العلامات والسمات الظاهرة للجسم أساسًا للتصنيف كلون البشرة والعين والشعر وشكل الجمجمة والأنف والذقن وطول القوام وغير ذلك، وتسمى المجموعة التى تشترك فى هذه الصفات باسم واحد وتكون أمة واحدة، والمسلك الثانى لا يعتد فقط بالأوصاف الظاهرية السابقة، بل يراعى أيضًا الأمة الواحدة والمسلك الثانى يعتمد أيضًا الرسوم والعادات واللغة والظواهر الاجتماعية والمراد بها مستوى الثقافة والسير التاريخية والمصالح والآمال الاقتصادية وامتزاج اللغات واللهجات ووفق هذا الأسلوب الأخير فلا يجب تصنيف النوع البشرى بالنسبة العرقية أى السمات الطبيعية الحيوية بل يقسم إلى طوائف وأقوام وشعوب بمقتضى أحوالهم الأدبية والإجتماعية وينحاز العلماء اليوم إلى المسلك الثانى ويعدونه أفضل من الأول بدرجات(١) .

ويذكر ياسمى فى تقييمه للعرق الكردى قوله إن الهدف من نقل قول علماء الأجناس أنه ليس هناك رأى ثابت حتى الآن حول أصل الأكراد إلا فى أمر كلى هو أنهم إيرانيو الأصل وبسبب أنهم لم يستطيعوا تطبيق قواعد علم الأجناس بانتظام ولفترة طويلة والخروج بنظرة جامعة فأخذ كل واحد منهم يبحث فى مكان ما وبطريقة ما فيصل إلى نتيجة ما والسبب الآخر هو افتراض بعض هؤلاء العلماء المسبق بأن الأكراد جنس مستقل فداروا وراء السمات والمميزات التى تفرقهم عن الأجناس الكبرى فلم يتمكنوا من إيجاد مثل هذا الفاصل والفارق فاضطر كل منهم إلى الإعتقاد بأن صفة عارضة هى فاصل حقيقى، فوقع الإختلاف لهذا السبب فى حين أنهم إذا لم يفترضوا أن الأكراد جنس مستقل ورأوهم كما هم على الحقيقة لكفاهم هذا فارقًا لفصل الجنس الكردى عن غيره من الأجناس، ولم يختص الأكراد أساسًا عند الإيرانيين من القديم حتى اليوم بمعنى الجنس المتميز وكانت كلمة كرد تطلق عليهم ليراد بها فى الأغلب الصحراويين أو الشجعان والمغاوير، ولم يكن قصدهم هو اختلاف عرقى(٢) .

ويلزم أن نوضح أن أحد المباحث التى تطرح فى بحث القومية الكردية مسألة المصير التاريخى المشترك وتوضيح ذلك اختص به رشيد ياسمى الذى يرى أن مصير جميع الشعوب

---

(١) الكرد، رشيد ياسمى ص١٣٤ .

(٢) رشيد ياسمى ص١٠٧ .

الإيرانية (الأكراد والفرس وغيرهم) مصير مشترك حيث يرى أنه إذا قمنا بالبحث فى حقيقة القومية الكردية بأصليها الموجودين سواء بأصل العناصر المشكلة للقومية مثل اللغة والعقيدة والعرق والعادات والتقاليد، أو بأصل المصير التاريخى المشترك فإن النتيجة واحدة، وهى أن الأكراد هم أحد الشعوب الإيرانية الأصلية وإن كانت تختلف شدة هذه الخلافات بين التركى والكردى بالنسبة للإيرانى لأن عدم وجود الفروق المذهبية بين الكردى والتركى يقلل من شدة الخلافات بينهما على عكس الحال مع الإيرانى والتركى فى إيران.

وفى الظروف الراهنة فمن العناصر التى تقوى فى كردستان إيران الإحساس بالتضامن الكردى وبسببها أيضًا يشعر الأفراد بالغربة عن الشعوب الأخرى عنصران لهما دور مؤثر جدًا هما الخلاف المذهبى ثم فقدان المنزلة الإجتماعية وعدم المشاركة فى اتخاذ القرار.

* * *

الأكراد وموقعة جالديران

قامت حكومة كردية قوية تحت مسمى الدولة البابانية والتى كانت من أقوى الدول الكردية فى العهد العثمانى فى القرن السابع للهجرة وقبل تأسيس الدولة العثمانية بنصف قرن حيث استطاعت هذه الدولة بسط سلطانها على مساحات شاسعة امتدت من بحيرة أورمية إلى جبال حمرين من ناحية ومن الموصل إلى كرمانشاه من جهة أخرى حتى أنها كانت تحكم مناطق بدرة المعروفة فى عهد العباسيين باسم بادورايا وحصان وهما من أعمال كوت الإمارة كما حكمت بغداد فترة من الزمن فى عهد السلطان محمود الثانى وإقليم همدان فى زمن حسن باشا وولده أحمد باشا ولاة بغداد حتى أنها بسطت نفوذها فى حدود أصفهان عاصمة إيران فى ذلك الوقت.

ولكن السلطان العثمانى استطاع بدهائه ضم أكثر الإمارات الكردية إليه تحت تأثير العاطفة الدينية كما قلنا لدرجة أن أحد أمراء الكرد مد السلطان العثمانى فى حربه مع الشاه إسماعيل الصفوى بعشرين ألف مقاتل كردى من خيرة المقاتلين المدربين على فنون القتال والحرب الحديثة كما زوده بعشرين مدفعًا أوروبيًا حديثًا.

وهكذا انضمت معظم إمارات الأكراد طواعية إلى السلطان العثمانى تحت مفهوم سلطان الإسلام والمسلمين وتحت شعار راية إسلامية واحدة وبقى الأمير أحمد باشا أمير البابانيين مستقلاً رافضًا الانضمام إلى الأتراك، ورافضًا تسليم علم دولته العظمى التى ورثها عن آبائه وأجداده منذ ٦٠٠ سنة استمر فى المقاومة رغم تخلى إمارات كثيرة عنه وكاد الأمير ينتصر لولا الخيانة القاسية التى لحقته من جراء خيانة قائده بريندار وانضمام ثلث جيشه إلى العثمانيين مما أدى إلى انتصار القائد العثمانى وانهزم الأكراد وسقطت آخر معاقل الدولة البابانية الكردية من عالم الوجود بعد أن عاشت حوالى ستة قرون من الزمان.

أما بعد موقعة جالديران فقد تغير الوضع السياسى للأكراد حيث خضع ثلثا الأقاليم الكردية تقريبًا للسيادة العثمانية، بمعنى آخر انفصلت إلى الأبد جميع مناطق أربيل والموصل وديار بكر عن إيران، وبقى تحت السيطرة الإيرانية تلك القبائل التى كانت تعيش فى السفوح الشمالية الشرقية لجبال زاجروس وهى نفس المناطق الكردية الحالية فى إيران وإن كان الإيرانيون والأكراد معًا يتحملان أسباب هزيمة الصفويين فى موقعة جالديران حيث فشل الطرفان الإيرانى والكردى فى خلق نوع من التعاون العسكرى بينهما خلال الحرب مع العثمانيين ولو كان تواجد هذا التعاون لاستطاع الأكراد السيطرة على مرتفعات شرق

جالديران واستطاعوا المساعدة فى تغيير دفة الحرب وإلحاق الهزيمة بالعثمانيين - ويكفى أن نقول أن هناك رؤساء ٢٥ قبيلة كردية انضموا إلى العثمانيين فى موقعة جالديران.

وقد ظلت علاقات الأكراد بالدولتين الإيرانية والعثمانية تسير شداً وجذبًا وفق المصالح الكردية وحسب تصرفات وسياسة كل حكومة تجاه الأكراد خاصة فى مسائل الضرائب فعندما تضيق إحدى الدولتين الخناق على الأكراد بسبب الضرائب فى إيران مثلاً أو التجنيد الإجبارى أو أعمال السخرة فى تركيا فإن الأكراد يلجأون إلى التمرد والثورة وعندما يستشعرون الخطر يعبرون الحدود المفتوحة دائمًا إلى الدولة الأخرى.. ونلاحظ عبر التاريخ أن الأكراد كانوا يحتفظون بعلاقات مفتوحة مع إحدى الدولتين فعندما تسوء علاقتهم مع تركيا يتصالحون مع إيران وعندما تحمر لهم إيران عيونها يرتمون فى أحضان تركيا - كما أنهم كانوا دائمًا يجنون ثمرة الصراعات بين هاتين الدولتين.

وقد استطاع العثمانيون عقد معاهدة صداقة بينهم وبين ٢٣ أميرًا كرديًا وذلك سنة ١٦٨٣م وقد التزم بها الأكراد وأدوا ما عليهم من حقوق المواطنة للدولة العثمانية فكانوا يشاركون فى حروب تركيا مع أعدائها وفقدوا عشرات الآلاف من القتلى فى هذه الحروب.. ولكن الأتراك عندما استنفذوا أغراضهم من الأكراد بدأوا يقلبون لهم ظهر المجن ويتبعون معهم سياسة فَرِّقْ تَسُد، لذلك ظلت الفترة ما قبل القرن العشرين فى ثورات كردية متعاقبة ما تهدأ ثورة حتى تقوم أخرى.

أما فى إيران وبعد أن أفل نجم الدولة الصفوية شارك الأكراد فى الصراعات السياسية واشتركوا فى حروب نادرشاه مع آخر سلاطين الأسرة الصفوية وكذلك شاركوا الصراعات التى اشتعلت بين آل قاجار والبختياريين والأفشاريين والزنديين وظل أمراء أرولان من الأكراد يحكمون كردستان الإيرانية حتى عام ١٨٦٠م حين انتهى حكمهم وتولت الحكومة القاجارية إرسال حكام من قبلها ليحكموا تلك المناطق.

وبدأ الأكراد يشكون من الضرائب الباهظة التى فرضها عليهم الحكام والأمراء الجدد وقابلوا ذلك بالثورات المتعددة.

* * *

ثورات القرن التاسع عشر

كان لزعماء العشائر ورؤساء القبائل الكردية دور بارز فى إشعال نار الثورات المتعاقبة والتى كان همها الأول تحقيق الحلم القومى للأكراد فى الاستقلال، لذلك فقد كانت معظم ثورات الأكراد ينقصها خبرة التنظيم الثورى وكانت مدفوعة بالرغبة العارمة والملحة فى السيطرة على المناطق الكردية.. وكانت معظم هذه الثورات فى بادئ الأمر تهدف إلى الاستقلال وتحقيق مبدأ واضح مؤداه احتفاظ الأكراد بأراضيهم وخيرات بلادهم ثم تطور ذلك المبدأ إلى فكرة الحكم الذاتى فى إطار الدولة الأم فأكراد كردستان يهدفون إلى استقلال قرارهم وحكم نفسهم بنفسهم فى إطار الدولة الإيرانية الشمولية وكذلك كان نفس الهدف يلح على أكراد تركيا ثم نفس الحلم يراود عيون أكراد سوريا وإن كان بشكل أقل إلحاحًا.. ولكن لم يكن هناك فكر قومى موحد يضم جموع الأكراد بحثًا عن وطن قومى للأكراد يضم أكراد الشتات فى جميع الدول إلا فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وظهور الجمعيات الوطنية والأحزاب السياسية ووجود حركات منظمة لدى الأكراد وانتشار الوعى السياسى والفكر الأممى لدى زعمائهم وانتقال مقاليد الأمور من الزعامة القبلية إلى الزعامة الحزبية والسياسية.

فمع نهاية القرن التاسع عشر اتجه المفكرون الأكراد خاصة فى كردستان التركى إلى عدم الاعتماد على زعماء القبائل واهتمامهم بضرورة إقامة تشكيلات سياسية تأخذ مبدأ الكفاح منهاجًا وسبيلاً إضافة إلى تأصيل القيم والأيدولوجية القومية الكردية بدلاً من اعتماد القيم التقليدية للنظام القبلى التقليدى، وقد ساعدت الطبيعة الجغرافية الشعب الكردى على التمرد والثورة على الحكومات.. يقول فى هذا الصدد فردوست رئيس المكتب الخاص لاستخبارات محمد رضا شاه فى إطار تقييمهم لمشاكل كردستان:

كانت إحدى المشاكل الأكثر أهمية والتى ارتبطت مباشرة بالأمن الداخلى للبلاد من عام ١٩٦٢ وحتى عام ١٩٧٥ بالتعاقب ودخل السافاك بالنتيجة فى صراع معها مشكلة ثورة الأكراد البرزانيين العراقيين وحروبهم مع بغداد.

ويستمر فى تحليله للظروف الجغرافية لكردستان بقوله:

تقع منطقة كردستان فى البلاد الخمس السابقة وبسبب طبيعتها الجبلية ما عدا روسيا فى الواقع كانت تنقلات الأكراد تتم فى المناطق الجبلية الكردية للبلاد لسهولة مكان من العسير أن تتم سيطرة جادة على حدوده.

وفى عهد الحرب العالمية الأولى طالب الأكراد بتأسيس دولة كردستان المستقلة لكن سياسة الإنجليز فى المنطقة لم تر فى صالحها تكوين دولتهم ولم يبرز الغرب بعد ذلك ميلاً لهذا المطلب والسبب الأساسى لذلك هو اللطمة التى كانت تواجه إقامة وطن للأكراد والتى تعتبر صدمة إلى الوجود التركى الذى يضم عدداً كبيراً جداً من الأكراد، فقام أتاتورك بمذابح للأكراد الأتراك ومنع استعمال اسم كرد ولقبهم بالأتراك الجبليين. وسبب الأكراد مضايقات خطرة لرضا خان أيضاً وبعد سقوطه بين عامى ٤٦ ـ ١٩٤٧ كونوا جمهوريتهم المستقلة فى «مهاباد» ولكنهم على مدار تاريخهم الطويل لم يكفوا عن المطالبة باستقلال كردستان والسعى إلى ذلك الهدف القومى بكل الوسائل العسكرية والسياسية وقد ظلت كردستان تغلى بالثورات.

إن تاريخ الأكراد مع الثورات على الاحتلال والمحتلين دام وصفحات معاركهم فى سبيل صد الغزاة مليئة بالقصص والحكايات البطولية التى تستحق أن تسجل بحروف من نور وتنقش على صفائح من الذهب والفضة.

ونحن لا نستطيع أن نتحدث بالتفصيل والإسهاب عن كل الثورات التحريرية وحركات الكفاح المسلح التى قام بها الأكراد من أجل الحصول على كردستان المستقلة وتحقيق الوطن القومى لهم. ولكننا سوف نشير إلى أهم هذه الثورات وزعمائها بقدر ما تيسر لنا من معلومات وبقدر ما تسمح به المساحة فى هذا الكتاب وسوف نقصر حديثنا عن ثورات القرنين التاسع عشر والعشرين باعتبارهما أقرب الأزمنة إلينا.

* ففى سنة ١٨٠٦ اندلعت فى مدينة السليمانية بالعراق ثورة كبرى قاد غمارها عبد الرحمن باشا البابانى واستمرت الاشتباكات لمدة سنتين حقق فيها الأكراد انتصارات رائعة ولكن الثورة انتهت لمقتل زعيمها فى إحدى المعارك ولم يكن هناك من يتولى القيادة بعده فوئدت الثورة فى مهدها وفى سنواتها الأولى.

* وفى سنة ١٨١٢ قامت فى نفس المكان ثورة أخرى قادها أحمد باشا البابانى وهو قريب ومن عائلة عبد الرحمن باشا واستطاع الأكراد تحقيق ملاحم بطولية وانتصارات رائعة على الجيش التركى مما أغراهم بالزحف إلى بغداد وأوشكوا على الإستيلاء عليها لولا وفاة زعيم الثورة وكانت نتيجتها كسابقتها.

* وفى سنة ١٨٢٠ قام الأكراد فى منطقة الظاظا بثورة أخرى امتدت فى عدة مناطق مثل سيواس واستمرت لشهور قليلة ثم فشلت لنفاد المؤن والعتاد والذخائر فاعتصم الثوار

بالجبال إلى أن تمكن الأتراك من حصارهم وإبادتهم عن آخرهم، وفى الفترة من ١٨٢٩ وحتى ١٨٣٩ اندلعت ثورات أخرى محدودة فى مناطق حكارى ورواندز وطور عابدين كانت أهمها بقيادة محمد باشا الكور من العائلة البابانية وكانت النتيجة هى الفشل لكونها ثورات عشوائية غير منظمة ولم تخضع للتخطيط والإعداد الجيد.

* وفى سنة ١٨٣٠ قامت ثورة الأكراد فى منطقة جبل سنجار واستمرت المناوشات والمعارك مع الجيش النظامى التركى ثلاث سنوات ولم تكن أحسن حالاً من سابقتها حيث نفدت المؤن والعتاد وفشلت الثورة بعد أن حصدت آلاف الأرواح.

* وفى سنة ١٨٣٤ اشتعلت منطقة بدليس بثورة كبرى قادها أميرها شريف خان معترضًا على الفرمانات التركية بإلغاء امتيازات ومخصصات إمارته وكان أيضًا نصيبها الفشل السريع.

* وفى سنة ١٨٢١ أى قبل ذلك التاريخ كان الأمير الصغير بدرخان قد بلغ من العمر ثمانية عشر عامًا فتولى إمارة الجزيرة وإقليم بوطان ومن يومها وضع نصب عينيه تجنيب الإمارة دسائس الباب العالى ومحاولات الوقيعة بين العشائر الكردية لكى تفنى بعضها بعضًا فيقضى القوى على الضعيف ثم تبحث للقوى عمن هو أقوى منه لكى يقضى عليه هو الآخر.. وكان الشغل الشاغل للأمير بدرخان هو توحيد كردستان تحت إدارة واحدة واتخذ الكفاح المسلح أسلوبًا لكى يحقق هدفه.. ثم بحث عن أسباب فشل كل الثورات السابقة فوجدها تنحصر فى أمرين:

الأول: عدم اتحاد القوى الكردية فى الثورات حول الهدف الأسمى وهو الوحدة.

الثانى: عدم وجود مصانع للأسلحة والذخائر والاعتماد على الدعم الخارجى.

وقد قام الأمير بدرخان بإرسال الوفود والرسائل إلى باقى أمراء الأكراد فى محاولة لجمع كل القوى الكردية تحت قيادة واحدة لا سيما وأن إمارة بوطان كانت هى الإمارة الكردية الوحيدة التى تنعم بالاستقلال.. واستطاع الأمير بدرخان بعد جهد كبير تكوين حلف عسكرى للكفاح الوطنى ضم زعماء الإمارات الكردية وهم:

مصطفى بك، درويش بك، محمود بك (خان محمود) من زعماء ورؤساء لواء وان ونور الله بك زعيم حكارى وفتاح بك وخالد بك زعيم خيزان وشريف بك من زعماء لواء موشى وحسين بك كور رئيس عشائر إقليم قارص وآجار وتشكلت لجنة للدعوة للحلف الجديد تطوف أنحاء الإمارات الكردية تدعو لذلك وهم الشيخ محمد من أهالى الموصل

والشيخ يوسف من أهالى زاخو وكان من أشهر علماء كردستان وقامت اللجنة بالدعوة للإتحاد الجديد من خلال الخطابة فى المساجد والدواوين والندوات والأسواق وامتدت الدعوة إلى أكراد إيران واستجاب منهم أمير أرولان وانتقل الأمير بدرخان إلى المرحلة الثانية فأنشأ مصنعًا للأسلحة وآخر للذخيرة وأرسل البعثات الطلابية إلى أوروبا لدراسة صناعة الأسلحة والذخائر وباقى الصناعات الحربية وقام بإنشاء أسطول صغير ليتم استخدامه فى بحيرة وان.. وقد استخدم الأمير بدرخان أسلوب الترغيب تارة وأسلوب الترهيب تارة أخرى فالإمارات التى كانت تتقاعس فى الدخول فى الحلف الجديد كان يرسل السرايا العسكرية إليها لإرهابها وإجبارها على الدخول فى التحالف الكردى الجديد.

ولكن كل هذه الاستعدادات والترتيبات لم تكن بعيدة عن عيون ورقباء وجواسيس السلطان العثمانى فراح يدير المكائد ويتحين الفرص للإيقاع بالأمير وحلفائه.. وقد ساعدت الأحداث الباب العالى فى ذلك عندما وقعت حادثة أعطته الورقة الذهبية لتدبير المكيدة.

فقد حدث أن امتنع النساطرة المسيحيون بإمارة بوطان عن دفع الضرائب للأمير كما جرت العادة فقام الأمير بدرخان بتجريد حملة ضدهم قوامها عشرة آلاف جندى كردى قامت بتأديبهم وجمع الضرائب بالقوة. وهنا قام الباب العالى بتأليب الأمم الأوروبية ضد الأكراد واستخدم الدين كسلاح خبيث لبذر بذور الفتنة فاحتجت الدول الأوربية واعتقدت بفعل وتأثير الدعاية المسمومة والدسائس المغرضة أن الأكراد يضطهدون النساطرة لأنهم مسيحيون رغم أن الأمير بدرخان كان معروفًا بالسماحة الدينية لدرجة أنه أمر فور توليه الإمارة بإبطال العادات المفروضة على الذميين مثل ارتداء زى خاص وترجل المسيحى من على ظهر دابته إذا رأى أحد زعماء الأكراد وشجع المسلمين على الزواج بالأرمنيات والنسطوريات.. ورغم كل هذه التوجهات الإصلاحية أرسلت انجلترا وفرنسا إلى الباب العالى مذكرة احتجاج على تصرفات الأمير بدرخان مع النساطرة.. فى الوقت نفسه كان السلطان العثمانى يساوم الأمير على العدول عن فكرة توحيد كردستان ويمنيه بتوسيع حدود إمارته فوجد السلطان العثمانى فى موقف انجلترا وفرنسا ما شد من أزره فى وجه الأمير لا سيما وأن الدولتين وعدتا السلطان بالمساعدة إذا احتاج الأمر لذلك. فأوعز السلطان إلى المشير حافظ باشا بأن يرسل مندوبًا من عنده يجيد التحدث باللغة الكردية ليرسله إلى الأمير بدرخان ويطلب منه السفر للأستانة لمقابلة السلطان لتوضيح موقفه تجاه الخلافة.

وعندما جاء الرسول إلى الأمير رفض الأخير السفر إلى الأستانة وبدأ فى إعداد البلاد

للثورة وجيش الجيوش وأعد العدة للقتال.

لم يجد السلطان بدأ من القتال فأرسل حملة عسكرية إلى الأمير إلا أنها منيت بالهزيمة وعلى أثر ذلك أعلن أمير بوطان قطع العلاقات مع الباب العالى كما أعلن استقلاله عن الدولة العثمانية وقام بضرب نقود كردية نقش عليها اسمه واستمر فى الفتوحات فوصل إلى مدينة وان من جهة وإلى صا وجبلاق وروانذر والموصل من جهة أخرى واحتل قلعة سنجار ومدينة سعرد وويران شهر وسيوهرك ونصيبين ثم الموصل ثم استولى على أورمية ببلاد فارس.

لكن السلطان العثمانى أدرك مدى خطورة الثورة الكردية فجمع الجيوش النظامية وجند كل القوى واستعان بالمتطوعين من الأقاليم الأخرى حتى تمكن من تجهيز حملة كبيرة تحت قيادة عثمان باشا الذى زحف إلى الأمير على بدرخان ومعه جيش جرار ودارت معركة كبرى على مقربة من أورمية انتصر فيها الأمير بدرخان رغم وقوع خيانة بين صفوف الأكراد عندما قام عز الدين بشير قائد ميسرة الجيش الكردى بالانضمام إلى الأتراك واستغل انشغال الجيشين فى المعركة وقام ومعه قوة من الأتراك باحتلال مقر إمارة الأمير بدرخان مما اضطر الأخير إلى ترك قوة تقاتل الأتراك ثم انسحب هو بقوة أخرى إلى الجزيرة ودارت معركة دامية انتهت بطرد الأتراك ومعهم الخونة ولكن انقسام الجيش الكردى أضعف الجيش الرئيسى الذى يحارب الأتراك فلحقت به الهزيمة لا سيما بعد أن انضم إلى الأتراك الجيش المنسحب من الجزيرة وعندما هزم الأمير بدرخان انسحب بقواته وتحصن فى قلعة أروح فحاصره الأتراك ومعهم الأمير عز الدين شير لمدة ثمانية أشهر فضاقت الأرزاق وقلت المؤن ونفذت الذخائر من المحاصرين واضطر الأمير إلى القيام بهجوم فجائى فى محاولة يائسة لفك الحصار فلحقته الهزيمة الساحقة وانتهت هذه الثورة أيضًا وخبا أمل الأكراد فى وحدة كردستان وإن كان السلطان العثمانى قد أعجب أشد الإعجاب بالأمير بدرخان وقد ظهر هذا الإعجاب واضحًا حينما أسند السلطان العثمانى قيادة المتطوعين من كردستان تحت إمرة أولاد الأمير بدرخان وذلك سنة ١٨٧٧ عندما اندلعت الحرب بين تركيا وروسيا.

لكن الطريف فى الأمر أن اثنين من عائلة الأمير بدرخان هما حسين كنعان باشا وعثمان باشا استغلا القوات التى تحت إمرتهما وبدلاً من التوجه إلى ميادين القتال لمحاربة الروس توجها بهذه القوات إلى إقليم كردستان لتحقيق حلم والدهما الكبير فى وحدة كردستان واستقلالها. وبالفعل استولى الأميران على الجزيرة وكردستان وأعلنا استقلالها عن الحكم

التركى واستطاعا التغلب على كل الحملات التركية التى جهزت لحربهما.. وامتدت فتوحاتهما بعد ذلك إلى جولمرك وزاخو والعمادية وماردين وميدلت ونصيبين وأعلن الأمير عثمان أميرًا على كردستان وذكر اسمه فى الخطب ودعى له على المنابر.

ولكن القوات التركية كانت فى حالة يرثى لها نتيجة حربها الضروس مع القوى الأجنبية وخسائرها المتلاحقة مما جعل السلطان عبد الحميد يلجأ إلى سياسة المهادنة واستخدام اللين والمرونة لكسب الوقت وتهدئة الأوضاع فى المناطق الكردية الملتهبة فعمد إلى إطلاق سراح المقبوض عليهم من العائلة البدرخانية وأرسل إلى الأميرين المتمردين يطلب منها حقن الدماء معربًا عن استعداده الاستجابة لبعض مطالبهما بالوسائل السلمية فانخدع الأميران بهذه السياسة الجديدة ودخلا فى مفاوضات مع الجانب التركى من أجل إلقاء السلاح ونشر السلام وتحقيق المطالب العادلة والمشروعة للأكراد.. وقد استمرت المفاوضات فترة طويلة حيث قوبل الأميران الكرديان بمزيد من الكرم والحفاوة مما جعل الأميرين ينخدعان ويقللان من حرسهما الخاص أثناء المفاوضات فى الوقت الذى كان فيه الأتراك يغيرون مكان الإجتماع بصفة مستمرة حتى جاء يوم عقد الإجتماع فى مكان تزيد فيه القوات المسلحة التركية عن كم الحراسة المكلف بمرافقة الأميرين الكرديين فانتهزت القوات التركية الفرصة ـ حسب الخطة المدبرة ـ وأحاطت بالأميرين وقبضت عليهما بعد التغلب على الحراسة البسيطة الرمزية التى كانت تحوطهما.

وأرسل الأميران فى حراسة مشددة إلى الأستانة حيث زج بهما فى غياهب السجون ثم أطلق سبيلهما بعد فترة مع فرض الإقامة الجبرية فى الأستانة.

* فى سنة ١٨٨١ اندلعت فى شمدينان ثورة عارمة قادها الشيخ عبيد الله نهرى هدفها تحقيق الاستقلال الداخلى لكردستان فى مناطق أكراد تركيا وإيران ولكن تحت السيادة التركية العامة وقد انتصرت طلائع الثوار فى بداية الأمر إلا أنها لم تقو على الصمود فى مواجهة القوات العسكرية الإيرانية التى اشتبكت معها فهزمت القوات الكردية وقبض على الشيخ عبيد الله ونفى إلى المدينة المنورة وظل بها حتى توفى هناك.

* فى سنة ١٨٨٩ تجدد الأمل مرة أخرى وبدأ حلم الثورة يراود أمراء الأكراد فقام كل من أمين عالى بك ومدحت بك من أولاد الأمير بدرخان بمغادرة الأستانة سرًا وفرا حتى وصلا إلى طرابزون واستطاعا من خلال مصطفى نورى الشامل إجراء اتصالات مع زعماء كردستان وتم الاتفاق سرًا على أن يرسل زعماء الأكراد قوة عسكرية بقيادة هؤلاء الزعماء

وأن يعقد إجتماع عالى المستوى فى مدينة جويزلك فى منتصف الطريق بين طرابزون وأرضروم وبالفعل وحسب الاتفاق وصل الزعماء ومعهم القوة العسكرية الكردية المتفق عليها وتحرك الأميران فى اتجاه جويزلك.. فى نفس الوقت تسرب الخبر إلى المخابرات التركية عن طريق الوسيط مصطفى نورى فصدرت أوامر السلطان بإرسال حملة سرية تركية إلى منطقتى أرضروم وأرزنجان، وفى المكان والموعد المتفق عليها وصل الأميران ولكنهما فجأة وجدا نفسيهما بين طرفى كماشة أعدتها القوات التركية فى مدينة يابيورت وهناك دارت معركة دامية غير متكافئة هزم فيها الأكراد الذين فروا إلى جبال أرغنى فطاردتهما القوات التركية وحاصرت المنطقة فترة من الزمن حتى اضطر الأميران إلى التسليم.

* وفى سنة ١٩١٣ قامت ثورة كردية محدودة فى ولاية بدليس يقودها الملا سليم ومعه شخصان هما شهاب الدين والشيخ على اقتصرت على شوارع مدينة بدليس ولكنها فشلت لعدم التكافؤ فى القوات فلجأ زعيمها الملا سليم إلى القنصلية الروسية ببدليس وبقى فيها فترة من الزمن.. ولكن سوء الحظ لازمه إذ أعلنت تركيا الحرب على روسيا فاقتحمت القوات التركية القنصلية وقبضوا على الملا سليم وشنقوه وعلقوه فى شوارع بدليس.

لكن يجب أن نلفت النظر إلى أن أغلب الثورات كان يعتريها الوضع القلق للأكراد خاصة فى فترة حكم القاجاريين والدولة العثمانية وفترات الخلل التى كانت تعترى الحكومات المركزية إلى جانب التغذية المستمرة من حكومات الإنجليز وروسيا وبعض الدول الأوربية الأخرى لاتخاذ الأكراد كمخلب قط للوثوب على الدولتين التركية والإيرانية ولخلق حالة من عدم الاستقرار داخل الحكومتين.

كما أن جميع الثورات التى قامت فى القرن التاسع عشر والتى تحدثنا عنها تفصيلاً وأهمها:

* ثورة عبد الرحمن باشا فى السليمانية ١٨٠٦.
* ثورة البلباسيين سنة ١٨١٨ فى شمال كردستان والعراق.
* تمرد أمراء رواندوز ويوتان سنة ١٩٢٨، ١٩٢٩ (من ثورات القرن العشرين).
* ثورة أكراد شمال العراق وتركيا سنة ١٨٣٢، ١٨٣٩.
* ثورة يزدان شير (أسد الله) فى ١٨٥٣ ـ ١٨٥٥ فى هكارى ويوكان أثناء حروب تركيا مع روسيا.
* ثورة الشيخ عبيد الله نهرى سنة ١٨٨٠ فى مناطق أكراد إيران وتركيا.

كانت هذه الثورات تندلع بقيادة أمراء وزعماء القبائل أو القادة الدينيين للأكراد وكانت كلها تفشل بسبب افتقارها للخطة والتنظيم السياسى وكان هدفها جميعًا السيطرة على المناطق الكردية حتى أقرب هذه الثورات إلى طرح الفكر السياسى وهى ثورة الشيخ عبيد الله التى طرحت مسألة كردستان العظمى ولكن ليس بمعنى وطن أو دولة ولكن بمعنى إقطاع حكومى يبحث عن الحكم الذاتى والإستقلالية.

هذه الثورات المتعاقبة خلال القرن التاسع عشر مهدت لأن تقوم بين رجال الفكر الثورى معانى ثورية جديدة غير تقليدية منها عدم الإعتماد على المركزية القبلية بمعنى عدم الإعتماد على الزعامات القبلية أو الدينية بشكلها القديم والبحث عن إعداد كوادر ثورية غير كلاسيكية مسلحة بالقيم الفكرية والأيدولوجية القومية لذلك بدأ الفكر الثورى يظهر إلى جانب الثورات العسكرية بداية من القرن العشرين.

* * *

ظهور الجمعيات السياسية

في الوقت الذى كان الأكراد يؤسسون فيه القوى العسكرية ويجيشون الجيوش ويعدون الأسلحة والذخائر ويرتبون المؤن والعتاد للثورات المتلاحقة خلال القرنين الماضيين مما جعل كردستان شعلة من النار ما تخمد إلا لتشتعل من جديد وما أن تفشل ثورة حتى تقوم أخرى فى مناوشات وحروب متلاحقة من أجل استقلال كردستان.

فى هذا الوقت كانت هناك جهود أخرى فى المجال الفكرى والسياسى والإعلامى لتكون جنبًا إلى جنب تمهد للعمل العسكرى وتنشر أفكاره وتحيى جهوده وتلقى الضوء عليه وترد على الإشاعات الكاذبة والدعاوى المغرضة للأتراك.

فقد أصدر الأكراد سنة ١٣١٥هـ جريدة كردستان وهى أول جريدة كردية رسمية تنشر الدعوة إلى التحرر والاستقلال وتعمد إلى تعريف الدول والأمم الأخرى بأهداف وطموحات الأكراد وكان يرأس تحريرها الأمير مدحت بدرخان.

فى الوقت نفسه كان عقد الندوات والإجتماعات والمؤتمرات السياسية مستمرًا بين الحين الآخر فى مختلف القرى والمدن والحواضر حيث يلتقى الزعماء والثوار والأمراء من مختلف القوى الوطنية لتدارس الموقف من الحكومة التركية وكانت جريدة كردستان تعتبر لسان حال الحركة الوطنية الكردية فى ذلك الوقت ولكن نظرًا لمرض صاحب الجريدة قام شقيقه الأمير عبد الرحمن بإصدار الجريدة فى القاهرة ثم جنيف ثم فولكستون وبعد إعلان الدستور العثمانى عادت الجريدة للصدور من الأستانة برئاسة الأمير ثريا بدرخان ولما قامت الحرب العالمية بين تركيا وروسيا عادت للصدور من القاهرة.

وقد شهد إقليم كردستان العديد من الجمعيات السياسسية وكان أولها على الإطلاق جمعية التعالى والترقى الكردية سنة ١٩٠٨ فى الأستانة على يد مؤسسيها من الأكراد وهم الأمير عالى بدرخان والفريق شريف باشا والشهيد عبد القادر الذى شنقه الأتراك فى ديار بكر وأحمد ذو الكفل باشا وقد أخذت الجمعيات السياسية تنتشر نظرًا لأن تسمية الأحزاب السياسية لم تكن قد عرفت بعد بهذه التسمية فهذه الجمعيات كانت بمثابة الأحزاب وإن كان يطلق عليها جمعية. وقد تأسست فى نفس الوقت تقريبًا جمعية أدبية كردية باسم «جمعية نشر المعارف الكردية» استطاعت بجهودها افتتاح مدرسة كردية بجنبر لى طاش لتعليم أبناء الأكراد فى الأستانة.

ولكن عندما وصل الإتحاديون إلى مقاليد الحكم فى الأستانة وبسط نفوذهم وفرض

سيادتهم التى مؤداها الضرب بيد من حديد والبطش بالأهالى واستخدام الظلم والكبت والدكتاتورية أسلوبًا للحكم تحت شعار الدستور والديمقراطية المزعومة أقفلت الجمعيتان وتوقف نشاطهما بل وأغلقت المدرسة التعليمية أيضًا. وكان هذا تصرفًا غير موفق من الحكومة التركية لأن جمعية التعالى والترقى الكردية اضطرت إلى الاستمرار فى نشاطها ولكن بالطرق السرية أو ما يسمى تحت الأرض.

وتم فى الأستانة أيضًا تأسيس اتحاد عام للطلبة الأكراد فى الأستانة سنة ١٩١٠ تحت اسم جمعية هيفى الكردية وقد أشرف على تأسيسها خليل خيالى الموطكى وتولى إدارتها عمرو قدرى آل جميل باشا من أعيان ديار بكر ومعهما فؤاد تمو بك الوانلى وبعض طلبة مدرسة الزراعة بالأستانة.

وعندما نشبت الحرب العظمى وسافر جميع الأعضاء إلى ميادين القتال توقف نشاط الجمعية فترة من الزمن عاد بعدها إلى الظهور مرة أخرى فأصدرت جريدة «روزكرد» لتعبر عن نشاطها وأفكارها ومبادئها كما استطاع نفر من الأكراد على رأسهم ممدوح سليم بك، وكمال فوزى بك الذى سبقت الإشارة إليه والذى أعدم فى ديار بكر بعد ذلك، استطاع إصدار جريدة باسم «زين» فى الأستانة باللغة الكردية.

كما أسس الأمير ثريا بدرخان فى القاهرة جمعية الإستقلال الكردى وفى الأستانة تأسست بعد الهدنة جمعية كردية أخرى باسم «تعالى كردستان» ضمت عددًا كبيرًا من الساسة الأكراد، وقادة الرأى من بينهم أمين عالى ومراد ومحمد على وخليل رامى وكامراد وهم من أولاد وأحفاد الأمير بدرخان الكبير ومعهم فؤاد باشا وحكمت وحسين وشكرى وفؤاد باشا محمود وعلى من البابانيين والسيد عبد الله رمزى بك الخربوطلى وأكرم بك جميل باشا زاده ونجم الدين حسين وممدوح سليم وحسن حامد وفريد والدكتور شكرى محمد وحسين عونى مبعوث خربوط ومحمد مبعوث ملاطية وأمين زكى والأميرالاى خليل بك الدرسملى ومحمود نديم باشا والفريق مصطفى باشا السليمانى والفريق حمدى باشا والقائمقام محمد أمين بك السليمانى والشيخ على الشيرولى وشفيق أفندى الخيزانى.

كما شهدت تلك الفترة تأسيس جمعية كردية أخرى هى «التشكيلات الإجتماعية الكردستانية» بزعامة الأمير أمين عالى وجلادت وكامران بدرخان وكمال فوزى وأكرم جميل باشا زاده والدكتور شكرى وممدوح سليم وقامت معها فى نفس الوقت فى الأستانة جمعية أخرى كانت أول جمعية تحمل لقب «حزب» وهى «حزب الأمة الكردية».

وقد قويت هذه الجمعيات وانتشرت فى جميع بلاد كردستان حيث أسست لها فروعًا وشعبًا وضمت أعضاء كثيرين من أبناء الأمة الكردية ـ وعندما دخلت الجيوش الكمالية الأستانة دخلت فى صراع مرير مع هذه الجمعيات فى محاولة جادة لإجهاض نشاطها السياسى ولكن جميع هذه الجمعيات انحلت وأوقفت نشاطها من تلقاء نفسها عندما تأسست جمعية «خويبون» الكردية الوطنية الكبرى التى احتوت جميع الجمعيات الكردية وكذلك جميع الفصائل السياسية والعسكرية فى جمعية واحدة هى جمعية خويبون التى سنتحدث عن دورها فى قيادة حركة الكفاح المسلح فى فصول تالية.

* * *

ثورات القرن العشرين

دخل الأكراد القرن العشرين وهم على نفس حالهم من الصراع المستمر مع الحكومات المركزية لا سيما الدولة العثمانية التى شكلت أهم مراكز الصراع مع الأكراد ويجىء عام ١٩٠٨ ليشهد تحولاً هامًا على الحياة السياسية فى المنطقة عندما يقع الإنقلاب العثمانى وتنتقل زمام السلطة الحاكمة فى الأستانة إلى الإتحاديين الذين كانوا يحملون فى جعبتهم عددًا من الوعود الخلابة والعهود المغرية البراقة معتمدين برنامجًا إصلاحيًا استطاعوا أن يجمعوا حوله جموع الشعب وعناصر الإمبراطورية العثمانية كما أعلنوا الدستور العثمانى مما أعطى انطباعًا لدى الجميع أن هناك توجهات إصلاحية كبرى لدرجة أن الدول الأوربية نفسها انطلت عليها هذه الوعود فأوقفت تنفيذ العقوبات التى اتخذتها فى مؤتمر ريفال ضد الدولة العثمانية.

وصاحب ذلك حركة إعلامية نشطة فى الداخل والخارج حول مبادئ الإخاء العثمانى والمساواة بين المسلم والذمى وعدم التمييز بسبب الأديان أو العرقيات أو القوميات..

ولكن بمرور الوقت تبين أن هؤلاء الإتحاديين ودعاة التجديد والتمدين والحضارة ليسوا أحسن حالاً من أسلافهم العثمانيين وأن زعمهم بأنهم أبناء وأحفاد المجددين الأوربيين إنما هم أتراك طوارنيون يريدون إحياء النزعة الطورانية العرقية لأنهم أنسال المغول والتتار بكل نزعاتهم الدموية والعنصرية وإذا كان العثمانيون يعتبرون غيرهم من العناصر الأخرى أجناسًا أدنى وكانوا يسخرونهم لخدمة أهدافهم وأغراضهم فإن الإتحاديين كانوا يهدفون إلى إذابة جميع القوميات والعرقيات الأخرى فى القومية التركية أو إبادتها بأساليب عصرية جديدة.

وكانوا يهدفون إلى إقامة إمبراطورية فتية تقوم على العنصر التركى والقومية التركية واللغة التركية ووضعوا لنفسهم هدفين أساسيين:

الأول : إدماج جميع العناصر غير التركية فى القومية التركية.

الثانى : العمل على محو العناصر غير التركية والتى ترفض مبدأ «التتريك» باتخاذ أساليب القهر والبطش والإبادة.

وقد حصر الاتحاديون جميع القوميات الأخرى غير التركية فوجدوها تشمل ست قوميات وهم العرب ـ الأكراد ـ الأرمن ـ الأرانطة ـ الأروام ـ الجركس.

* أما العرب فقد كانوا الشوكة الكبيرة فى حلق الإمبراطورية العثمانية نظرًا لكثافة وكثرة عددهم، ولأن لهم حضارة وتاريخًا ومجدًا عريقًا وعادات وتقاليد راسخة ولا يمكن بأى

حال من الأحوال إذابتهم فى الإمبراطورية العثمانية لأنهم ليسوا مجرد أقلية مثل الأقليات الأخرى، فقد كانوا يمثلون حوالى ٢٠ مليون نسمة لذلك فقد كانوا يذيقون العرب سوء العذاب ويبطشون بهم كلما واتتهم الفرصة كما أفرغوا المدن والحواضر الإسلامية من العلماء والأدباء والفنانين والخبراء والكتب والمكتبات والصناع المهرة وعملوا على نشر الفقر والجوع والمرض بين ربوع البلاد الغربية وأثقلوا كاهلهم بالضرائب والمكوس والسخرة والتجنيد الإجبارى والزج بهم فى أتون حروب الدولة العثمانية ووضع الجنود العرب على المخافر النائية والنقاط الحدودية.

* وأما الأرمن فقد كانوا على رأس قائمة الشعوب التى يتناولها قرار المحو والإفناء وقد شهد التاريخ مذابح دامية تعرض لها الأرمن ومثلهم الأرانطة الذين أنقذتهم من براثن الدولة العثمانية النتائج التى أسفرت عنها حرب البلقان.

وقد انتشرت أخبار حرب الإبادة ضد الأرمن والمذابح والمجازر التى أتبعت معهم لدرجة تركت آثاراً بشعة لدى الدول فى أوروبا ونتيجة لذلك شهدت البلاد حالات فرار جماعى للأروام الذين عبروا الحدود التركية فراراً من الإبادة التى طالت عدة مئات منهم ثم جاءت معاهدة لوزان التى قضت بمهاجرة الباقين منهم الذين فشلوا فى الهروب عبر الحدود.

* وأما الجركس فهم العنصر الوحيد الذى كان أقل معاناة من الأتراك بحكم الخدمات الجليلة التى كان يقدمها الجركس لهم إلى جانب المصاهرة التى كانت تتم بين عائلات الجركس والأتراك لا سيما وأن الجركس كانوا يتمتعون بالجمال الباهر وقد أدت تلك المصاهرات إلى تحسين ملامح العنصر التركى المغولى فاتسعت العيون التركية المغولية الضيقة واستقامت الخدود العالية النافرة واستقامت الجبهة.

* أما الأكراد فقد كان الأتراك حريصين أشد الحرص على إدماجهم فى العنصر التركى لعدة أسباب منها التمسك بأقاليم كردستان الهامة بالنسبة للإمبراطورية العثمانية لا سيما أن اللغة التركية أخذت فى الإنتشار بين الأكراد الذين كان كثير منهم يجيد هذه اللغة يضاف إلى ذلك أن الأتراك يريدون الإستفادة من الجنود الأكراد وتجنيد الشباب فى الجيش التركى والدفع بهم فى الحروب الدامية التى تشنها تركيا، وكذلك الدفع بهم إلى أماكن الثورات والتوترات لقمعها لما اشتهر عن الأكراد من الشجاعة والبطولة والاستبسال وتحمل الصعاب والمشقات ولخبرتهم الكبيرة بالجبال والشعاب والمناطق الوعرة.

ولما استعصى الأكراد على مخطط التتريك والإنصهار فى القومية التركية والتضافر مع

المجتمع التركى حيث ظل الأكراد على قوميتهم وعرقيتهم وتماسكهم القبلى والعشائرى خاصة وأنهم يمثلون عدداً لا بأس به كان يبلغ حوالى الخمسة ملايين حينذاك لذلك فقد أصدر الخليفة العثمانى السلطان محمد رشاد الخامس قانوناً كان الضربة القاضية للأكراد إذ وضع هذا القانون فى اعتباره القضاء على الأكراد بطريقة أخرى تضمن القضاء على «الكردية» دون القضاء على «الأكراد» بمعنى إلغاء القومية والعرقية مع الإبقاء على البشر للإستفادة منهم، وقد لوحظ أن قوة الأكراد فى ترابطهم وتماسكهم عشائرياً وتكوين عصبية قومية، لذلك تضمن المرسوم السلطانى الجديد نفى وتشتيت الأكراد وإعادة توزيعهم على جميع الولايات العثمانية بحيث لا تزيد نسبة هؤلاء المبعدين من الأكراد فى أية مدينة يهجرون إليها عن ٥٪ من السكان الأتراك وبشرط أن يقيم زعماء الأكراد وباكواتهم وأمراء العشائر فى الحواضر والمدن العثمانية ليكونوا تحت سمع وبصر الحكومات وجواسيسهم أى تحت المراقبة المستمرة مع إبعاد عشائر هؤلاء القواد والأمراء إلى القرى النائية البعيدة حتى تنعدم الإتصالات ثم الصلات بينهم وبحيث يمكن أن تضيع معالم الأمة الكردية واللغة الكردية والعصبية الكردية بين المجتمعات الجديدة التى ينقلون إليها.

وتقوم الحرب العالمية الأولى وتدخل تركيا فى معارك ضارية مع روسيا لذلك تبادر تركيا إلى تتنفيذ المخطط الذى يحمله مرسوم سلطانى بتبديد وتشتيت وتهجير الأكراد.

وتسجل إدارة المهاجرين العثمانية أنه تم وفقاً للمرسوم بقانون الذى أصدره السلطان محمد رشاد الخامس بشأن تنظيم الولايات العثمانية أنه تم تهجير ٧٠٠ ألف كردى إلى مناطق تركية عديدة باستخدام القوة الجبرية وما لازمها من ضرب وبطش وتعذيب مات بسببها كثير من المرضى والعجائز وكبار السن والأطفال بسبب طول الطريق ومشقات الإرتحال ونقص الأغذية والأدوية إلى جانب من قتلوا بسبب مقاومة الجنود الأتراك.

ولكى نورد دليلاً عملياً على هذا المخطط الخطير لمحو الشخصية والعرقية الكردية نورد خبراً منشوراً فى جريدة سرستى التركية التى تصدر فى الأستانة فى ذلك الوقت العدد ٤٨١ بتاريخ ٣٠ أبريل عام ١٩١٩ والتى نشر تحت عنوان «عدد المهاجرين الكرد بسنجق يوردور بالأناضول» وجاء فى الخبر أسماء العائلات الكردية وعدد من هجر من أبنائها كالآتى:

عدد المهجرين الأكراد	أسـمـاء عائـلاتهم
٣٠٠ نسمة	جماعة عبد الله أغا من أعيان مدينة وان
١٩٠ نسمة	جماعة قاسم أغا من أعيان مدينة وان
٢٢٥ نسمة	جماعة شيخ حمزة أغا من أعيان مدينة وان
١٣٠ نسمة	جماعة محمد رشيد أغا من علماء تبليس
١٥٠ نسمة	جماعة نجم الدين أفندى من أعيان موش
١٥٠ نسمة	جماعة جعفر بك من أعيان موش
١٠٠ نسمة	جماعة مصطفى أفندى من أعيان موش
٢٧٠ نسمة	جماعة قوناس أغا من أعيان وان
١٣٠ نسمة	جماعة إسماعيل أغا من أعيان وان
١٠٠ نسمة	جماعة أحمد أغا من أعيان وان
١٠٠ نسمة	جماعة يوسف أغا من أعيان وان
١٠٠ نسمة	جماعة كامل أغا من ضباط العشائر
٧٠ نسمة	جماعة جندى أغا من أعيان وان
١٠٠ نسمة	جماعة جعفر أغا من أعيان وان
١٠٠ نسمة	جماعة أحمد أغا من زعماء تبليس
٥٠٠ نسمة	من عائلات مختلفة
٢٦٧٥	المجموع

عدد المهجرين الكرد بسنجق اسبارطة بالأناضول

عدد المهجرين الأكراد	أسـمـاء عائـلاتهم
٤٧٥ نسمة	جماعة نصر الدين أفندى من أعيان تبليس
١٥٠ ،،	جماعة رضوان أغا من أعيان أرضروم
٣٦٠ ،،	جماعة يوسف أغا من يوزباشية العشيرة ومن أعيان وان
١٣٠ ،،	جماعة عرب أغا من أعيان أرضروم

عدد المهجرين الأكراد	أسـمـاء عائـلاتهم
٢٠٠ نسمة	جماعة الشيخ عبد الرحمن أفندى من أعيان أرضروم
٨٠ ،،	جماعة الملا محمد أفندى من أعيان موش
٨٠ ،،	جماعة الملا سعيد أفندى من أعيان تبليس
١٢٥ ،،	جماعة كلشن أغا من أعيان بدليس
٢٧٠ ،،	جماعة سعدون أغا من أعيان بدليس
٩٠ ،،	جماعة يس أغا من أعيان وان
١١٠ ،،	جماعة الملا محمد أفندى من علماء بدليس
٢٠٧٠ نسمة	المجمـوع

وقد استمرت حركة التهجير الجماعى الإجبارى على أشدها بكل ضراوة وبأساليب لا إنسانية همجية تذكرنا بفظائع المغول فى العصور القديمة إلى أن انتهت الحرب وسقط الإتحاديون فى الأستانة وتشكلت حكومة معتدلة وعقدت هدنة «مندرس» المعروفة..

وبدأت الشعوب المقهورة داخل السلطنة العثمانية تتنفس الصعداء خاصة بعد إعلان ويلسون العالمى لحقوق الإنسان الذى كان بلسمًا شافيًا للإنسانية المعذبة، وبدأت الجمعيات السياسية الكردية تظهر مرة أخرى على سطح الأرض وبدأت مطالب الأكراد تعلن عن نفسها من جديد وظهرت المطالبة بحقوق وحرية واستقلال كردستان.

وبدأت هذه الجمعيات الكردية تشكل لجانًا للتفاوض مع الحكومات الأوربية ودول الحلفاء التى راحت تجرى استفتاء بين الشعوب المفصولة عن الدولة العثمانية خاصة بعد انتشار أخبار مذابح الأتراك ضد الأرمن بعد أن ذبحوا وأبادوا مليونًا منهم، وإن كانت الحكومة التركية قد حاولة تبرئة نفسها من ذلك بإنشاء محاكم لمحاكمة مجرمى الحرب من الإتحاديين الذين دبروا المجازر والمذابح ضد الأرمن وحكموا على بعض الأشخاص ذراً للرماد فى العيون وحتى يمتصوا غضب الشعوب الأوربية وحكوماتها.. بل وصل أمر المغالطة والتبجح بالحكومة التركية إلى إسناد أمر تلك المذابح التى لحقت بالأرمن إلى الأكراد، وقد صرح الصدر الأعظم الوزير العثمانى لمدة نصف قرن خلال خطابه الرسمى فى مؤتمر «الندره» قائلاً:

(إن الذين ذبحوا الأرمن هم الأكراد، وأما الترك وحكومتهم فهم أبرياء من ذلك ولولا ضرورة الحرب ومشاغلها لكان فى إمكان الحكومة الحيلولة دون ذلك وإنزال العقوبة بالفاعلين المباشرين).

وهكذا تخلص ممثل الوفد التركى والوزير فى الحكومة العثمانية من المجازر البشعة ضد الأرمن وألصق الجرائم الشنعاء بالأكراد. لولا أن الأرمن أنفسهم فضحوا الأكذوبة وكشفوا الحيلة الدنيئة عندما اعترفوا أن الشعب الكردى أسدى لهم خدمات جليلة أثناء الحرب العظمى وأن رجاله حافظوا على حياة ٥٠ ألف أرمنى من بطش وفتك الأتراك بإخفائهم فى بيوتهم وبين عائلاتهم وحافظوا عليهم وساعدوهم على تسلق الجبال الشاقة وعبور المناطق الوعرة وكشفوا لهم أسرار المداخل والمخارج إلى أن سلموهم إلى الجيوش الروسية التى تولت تأمين حياتهم.

وهناك تصريح للمسيو كلمنصو ممثل الدول الأوربية قال فيه: (إن الأتراك قد أثبتوا بأجلى برهان أنهم بفضل إدارتهم السيئة ومظالمهم المتنوعة من عصور عديدة أنهم عديمو الكفاءة والأهلية فى إدارة العناصر غير التركية فيجب والحالة هذه ألا نترك أمة ما تحت إدارة الأتراك)[1].

هذا التصريح الخطير أقلق السلطان العثمانى وخشى من إلحاح الأكراد وجمعياتهم السياسية فى طلب الإنفصال وتعاطف الحكومات الأوربية معهم فأراد امتصاص غضبهم فراح يغرى بعض أجهزة الإعلام والجمعيات السياسية التى تتعامل مع أجهزة المخابرات العثمانية فى نشر أخبار ونداءات تروج لروح الإسلام والعقيدة الإسلامية وضرورة الإتحاد والاعتصام بحبل الله ضد حركات التبشير والتنصير الأوربية والفظائع التى يرتكبها الصليبيون ضد الأقليات المسلمة وراح يخوف الأكراد من مخاطر الإنفصال عن الدولة العثمانية الإسلامية وفى الوقت نفسه أصدر فرمانًا بتشكيل هيئة وزارية عليا لتدارس المشكلة الكردية لوضع تقرير عاجل حول النظام الأمثل لإدارة المناطق الكردية وكان على رأس هذه الهيئة الوزارية شيخ الإسلام حيدرى زاده إبراهيم وعبوق باشا ناظر الأشغال وعونى باشا ناظر البحرية، وضمت اللجنة ممثلين عن الأكراد من جميعة تعالى كردستان وهم الأمير أمين عالى بدرخان ومراد بدرخان والسيد عبد القادر أفندى من أعضاء مجلس الأعيان.

(١) القضية الكردية، د. بله ج. شيركوه ص٦٥.

عقدت الهيئة الوزارية عدة إجتماعات وجلسات وفى النهاية أصدرت توصياتها ومنها:

أولاً : منح كردستان الاستقلال الذاتى بشرط موافقة الأكراد على الإنضواء تحت لواء الجامعة العثمانية.

ثانيًا : إتخاذ التدابير الفورية لإعلان هذا الإستقلال والشروع فى تنفيذ بنوده على وجه السرعة.

ولكن هذه التوصيات لم تلق هوى أو قبولاً لدى السلطان العثمانى فأخذ يسوف ويماطل ويعد ويمنى دون أن ينفذ حرفًا واحدًا من هذا الإتفاق..

فما كان من الجمعيات السياسية والزعماء والأمراء الأكراد إلا أن يفعلوا مثلما فعلت كل البلاد التى كانت خاضعة للسلطان العثمانى فقرروا انتخاب ممثلين عنهم وإرسال وفد إلى مؤتمر الصلح الأوروبى، وبالفعل اختار الأكراد الجنرال شريف باشا ممثلاً عنهم. وقد استطاع هذا الوفد الكردى طرح المسألة الكردية أمام مؤتمر الحلفاء وتم الاتفاق على:

أولاً: عقد معاهدة إئتلافية بينه وبين بوغوص نوبار باشا رئيس الوفد الأرمنى فى باريس بشأن حل جميع المنازعات بين الأرمن والأكراد حلاً سلميًا دون تدخل من أى دولة أجنبية.

ثانيًا: إدراج القضية فى معاهدة سيفر الدولية بتاريخ ١٠ أغسطس ١٩٢٠.

(معاهدة سيفر ١٩٢٠)

القسم الثالث. كردستان. البند ٦٢

يتم إيفاد لجنة دولية إلى مدينة القسطنطينية مؤلفة من ثلاثة أعضاء تعين كل عضو منها إحدى الدول الثلاث إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وذلك فى غضون ستة أشهر من تاريخ تنفيذ معاهدة الإستقلال الذاتى هذه بشأن المناطق التى يقيم فيها العنصر الكردى الكائنة شرق الفرات وقبل الحد الجنوبى لأرمينيا كما يمكن تحديدها فيما بعد، ويجرى الحد التركى مع سوريا والعراق طبقًا للوصف المبين فى النصفين الثانى والثالث من الفقرة الثانية من البند رقم ٢٧، أما فى حالة عدم الإتفاق على أى موضوع فإنه يحال بمعرفة أعضاء اللجنة كل منهم إلى حكومته، ويجب أن يشمل هذا المشروع الضمانات الكافية لحماية الكلدان والآشوريين والأقليات الأخرى جنسًا ودينًا فى داخل هذه المناطق.

ولهذا الغرض ستعاين لجنة من ممثلى بريطانيا وفرنسا وإيطاليا والعجم والكرد الأماكن لتفحص وتقرر التصحيحات وإذا رؤى أنه يجب إجراؤها على حدود تركيا إذ أنه بناء على نصوص هذه المعاهدة ينطبق الحد المذكور مع حد العجم.

(البند ٦٣)

تتعهد الحكومة العثمانية ابتداء من اليوم بأن تقبل وتنفذ قرارات كل من لجنتى القومسيون المذكورتين فى البند رقم ٦٢ خلال ثلاثة أشهر ابتداء من تاريخ التبليغ الذى ستعلن به.

(البند ٦٤)

إذا قدم فى ميعاد سنة ابتداء من تاريخ تنفيذ هذه المعاهدة الشعب الكردى المقيم فى المناطق المعنية بالبند رقم ٦٢ طلبًا لجمعية الأمم المتحدة موضحًا بأن أغلبية شعب هذه المناطق يرغب فى أن يكون مستقلاً عن تركيا وإذا آنست الجمعية المذكورة أن هذا الشعب قادر على الإستقلال أوصت بذلك، فتتعهد تركيا من الآن بأن تعمل بهذه التوصية وتتنازل عن جميع حقوقها وامتيازاتها فى هذه المناطق ـ وستكون تفصيلات هذا التنازل موضوع إتفاق خاص يعقد بين أهم دول الحلفاء وبين تركيا ـ ففى حالة حصول التنازل وعندما يحصل لا ترفع أية معارضة من قبل دول الحلفاء المذكورة نحو اتحاد الأكراد المقيمين فى جزء من أراضى كردستان الداخلة إلى اليوم فى ولاية الموصل اتحادًا بمحض إرادتهم مع حكومة الأكراد المستقلة.

وقد صفق الأكراد لهذه المعاهدة ورحبوا بها ترحيبًا شديدًا وعم الفرح كل ربوع كردستان من مشارق الأرض إلى مغاربها وراح الأكراد يمنون أنفسهم بقرب تحقيق أمانيهم وأحلامهم فى تحقيق وطن قومى لهم يلم شمل شتاتهم ويضمهم تحت راية واحدة من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب.

فى هذه الفترة حدثت فى تركيا تحولات سياسية هامة حيث اعتلى السلطة فيها مصطفى كمال أتاتورك الذى راح يداهن الأكراد ويهادنهم حتى يقبض بيديه على مقاليد السلطة ويجلس على الكرسى الذى لم يثبت له بعد.

فى الوقت نفسه راح يستخدم كل أجهزة الإعلام ويتصل بالجمعيات السياسية الكردية ويكرر نفس السيناريو الذى حدث بعد تشكيل اللجنة الوزارية السابقة ويعزف على نغمة الإسلام والمسلمين واضطهاد الأقليات المسلمة من قبل المسيحيين الصليبيين وضرورة الإتحاد لأن الإتحاد قوة.. وأنه لابد من تضافر عنصرى الأمة من ترك وأكراد ليتم تطهير البلاد من أعداء الإسلام والمسلمين ثم يلتفت بعد ذلك إلى المسائل الأخرى وعلى رأسها القضية الكردية.. وقد انخدع جموع الأكراد بهذه الدعاوى متأثرين بالوازع الدينى رغم محاولات زعماء الأكراد السياسيين تنبيه الرأى العام الكردى إلى خطورة المهادنة والإستجابة إلى

مماطلات مصطفى كمال أتاتورك فى الوقت نفسه كان جزء كبير من كردستان تحت الإحتلال الإنجليزى والفرنسيون يحتلون السواحل، أما شمال كردستان فكان يحتله الروس والإيرانيون والترك وراح زعماء الوفود للدول الأجنبية فى مؤتمر الصلح بباريس يؤكدون للجنرال شريف باشا رئيس الوفد الكردى بأنه لابد من إخلاد الكرد إلى السكينة والهدوء ووقف كل أعمال القوة العسكرية حتى يمكن تحقيق جميع الآمال والأمانى القومية للأكراد، وأن أى محاولة للإخلال بالهدوء والسلام والأمان سوف تعرض هذه المطالب الوطنية للخطر.

ولم يكن زعماء الأكراد يدركون أن معاهدة سيفر هذه التى صفق لها وهلل الشعب الكردى لا تساوى الورق الذى كتبت عليه، وأن جميع الوعود التى كتبت فيها تبخرت بمجرد جفاف المداد الذى كتبت به، وأن وفود الحلفاء ومندوبيهم السياسيين فى الأستانة راحوا يشاركون الحكومة التركية فى اللعب بالأكراد.

وقد قام الجنرال ماك آندرو قائد قوات بريطانيا العظمى فى كردستان بتوزيع منشور على الأكراد باللغة الكردية جاء فيه:

«بما أن سكان الأراضى العثمانية التى أكثرية سكانها من العنصر الكردى سيتقرر فى مؤتمر الصلح الذى سوف يحقق الأمانى القومية الكردية والحقوق الطبيعية للأكراد وكردستان فإنه والحالة هذه يجب على الأكراد أن يلتزموا السكينة والهدوء وأن يطمئنوا إلى عدالة إنجلترا التى ستحافظ على حقوق الأكراد».

كان واضحًا من هذا المنشور أنه مجرد مسكن وأن كل ما يهم حكومة بريطانيا العظمى هو إخلاد الأكراد إلى الهدوء والسكينة لطمأنة الأتراك لدرجة أن الحكومة البريطانية ممثلة فى الأميرلاى بل رئيس الإستخبارات الإنجليزية قد طلب منع الأمير ثريا بدرخان سكرتير جمعية الاستقلال الكردى بحلب من إصدار منشور يكشف مؤامرات مصطفى كمال مع الأكراد وكرر الجنرال الإنجليزى نفس الكلام قائلاً:

«إن أعظم خدمة نسديها إلى الشعب الكردى الآن هى أن ندعوه إلى الإخلاد إلى السكينة والتزام الصبر والهدوء».

فى هذا الوقت نما إلى علم زعماء الأكراد أن مصطفى كمال قد دبر خطة سرية للغدر بالأكراد وأنه يعد العدة لإرسال حملة مباغتة لتأديب الأكراد. وهنا قام كل من الأمراء جلادت بدرخان وكامران بدرخان وأكرم جميل باشا زاده مندوبى جمعية تعالى كردستان بحشد قوات كردية سريعة فى مناطق جبال كاخته لرد الحملة التركية ـ ولكن فجأة وصل

الأميرالاى الإنجليزى بل إلى ملاطية وأرسل الميجوز نوئل نائبًا عنه إلى زعماء الأكراد ليبلغهم باسم حكومة صاحبة الجلالة بوجوب تفريق القوات الكردية حالاً وأن أية محاولة مسلحة سوف تعرض القضية الكردية للخطر وإعادة النظر من قبل الدول الأوربية المتعاطفة معها.

من ناحية أخرى أخذ الحلفاء يؤكدون للأكراد أن تركيا مضطرة لتنفيذ جميع بنود معاهدة سيفر وإلا فإنهم سوف يحرمون من الأستانة نفسها.

ولكن بمرور الوقت تبخرت الوعود ولعبت الأوراق السياسية دورها وعادت التحالفات والمصالح الدولية تطرح نفسها وبإلحاح وبدأ الحلفاء يتراجعون عن كل الوعود التى بذلوها وأصبحت شعارات حق الشعوب المقهورة فى تقرير مصيرها وحق الأقليات فى الاستقلال ـ كل ذلك أصبح مجرد حبر على ورق لدرجة أن معاهدة لوزان التى عقدت بعد معاهدة سيفر لم يرد فيها أى شيء يخص الأكراد سوى بعض العبارات الإنشائية الخادعة وكان أكثر الناس سرورًا وسعادة باتفاقية لوزان الهزيلة هو مصطفى كمال أتاتورك الذى صفق طويلاً لهذه المعاهدة التى قضت قضاء مبرمًا على كل الأحلام والأمانى القومية للأكراد. . وهكذا طويت الملفات السلمية التى لم تسفر عن شيء.

علمًا بأن معاهدة لوزان تنص فى المواد ٣٨، ٣٩، ٤٠ من الفصل الثالث على أن الحكومة التركية تتعهد بأن للأكراد الذين هم أقلية جنسية فى تركيا الحق الصريح فى المحادثة بلغتهم القومية والمرافعة بها أمام المحاكم التركية وإصدار الجرائد والمجلات والكتب بها وفى إنشاء أندية كردية علمية واجتماعية وتهذيبية والتجوال فى داخل تركيا وخارجها بكل حرية وأن يكونوا متمتعين بجميع الحقوق السياسية التى يتمتع بها الترك.

كما تنص المادة ٣٧ على أن تتعهد تركيا بألا تسن قانونًا أو تصدر قرارًا يناقض الحقوق سالفة الذكر.

وتنص المادة ٤٤ على أن تعهدات تركية هذه دولية لا يجوز نقضها بحال من الأحوال وإلا فيكون لكل الدول الموقعة على معاهدة لوزان والدول المؤلفة منها جمعية الأمم المتحدة الحق فى الإشراف على تنفيذ تركيا لهذه التعهدات بالدقة والتدخل ضدها لحملها على تنفيذ ما تعهدت به أمام العالم.

وبالرغم من صراحة هذه المواد وصياغتها الواضحة وعباراتها البراقة إلا أن جميع موادها لم ينفذ منها حرف واحد وأعطته الدول التى وقعت عليها ظهرها أمام باقى الدول الأوربية

أما هيئة الأمم المتحدة فقد أعطتها آذانًا صماء وكأنها لم تطلع عليها أو تسمع بها. . وذهبت كل مساعى وجهود الشعب الكردى أدراج الرياح.

انطوت معاهدة لوزان كما انطوت قبلها معاهدة سيفر وأيقن الأكراد أنهم وقعوا أسرى خديعة مشتركة بين الأتراك والحلفاء وأن لعبة السياسة لها أصولها وألاعيبها وأن الكماليين الذين يحكمون تركيا لا يختلفون عن الإتحاديين وأن مخطط القضاء على القضية الكردية ما زال مستمرًا بل وبأسوأ مما كان، فقد جاء مصطفى كمال وفى خطته مبدأ التتريك الذى سار عليه وجعله مبدأ ودينًا ومنهجًا سياسيًا له وحتى يخلو له الملعب لينفذ ما يشاء كان عليه أن يسعى إلى إخراج الدول الأوربية من الساحة ولم يكن أمامه من المنغصات إلا إنجلترا وفرنسا، أما فرنسا فقد سوت تركيا الصراع الناشئ بينها وبين فرنسا حول الحدود مع سوريا وعقدت مع فرنسا معاهدة حسن جوار وعدم اعتداء أو تدخل فى الشئون الداخلية لكل منها، وبالتالى ضمنت حياد فرنسا وإزاحتها من الساحة.

أما انجلترا فرغم التصريحات المستمرة لوزير خارجيتها لورد كرزون حول حقوق الكرد وكردستان إلا أن المصالح الدولية لعبت دورها فى تغيير المواقع والمراكز، فقد كانت هناك مشاكل بين تركيا وانجلترا حول الموصل فبادرت تركيا بحل أزمة الموصل على الشروط التى طلبتها انجلترا وعقدت بين الدولتين معاهدة حسن جوار على غرار المعاهدة التى عقدت مع فرنسا، وتم أيضًا تحييد بريطانيا وإخراجها من الساحة.

وهنا بدأ الأتراك تنفيذ المخطط السرى الذى سبق وأن وضعوا خيوطه من أجل تتريك الأكراد أو محوهم بالقوة الجبرية ـ وبدأ المخطط بإصدار قرار بإلغاء اللغة الكردية وعدم استعمالها سواء بالصفة الرسمية أو حتى مجرد التخاطب بها فى الشوارع والمجالس الخاصة، وأصبح بحكم القانون الحديث باللغة الكردية حتى لو كان بين صديقين أو حتى زوجين جريمة أمن دولة فضلاً عن وقف التعامل بها من جميع المدارس والمعاهد ودواوين الحكومة ومصالحها. . ثم قامت الحكومة التركية بعد ذلك بالقبض على الأمراء والشيوخ ورؤساء القبائل والعشائر والبكوات والزعماء وإبعادهم إلى الولايات التركية النائية.

وعندما اتضحت للعيان الخطة التركية أدرك الأكراد أنه لا فائدة من المهادنة فأعلنوا الثورة الكبرى عام ١٩٢٥ وكان ذلك فى فجر يوم ٢١ مارس من نفس العام بزعامة الأميرلاى خالد بك الجبرانلى الذى بدأ بالإتصال بجميع أنحاء كردستان وأرسل مندوبين لمختلف المناطق والعشائر يحثهم على الثورة والخروج معه، وبدأ قادة الأكراد وزعماؤهم يتوافدون

للاستعداد لاندلاع الثورة فى اليوم المحدد لها وهو يوم ٢١ مارس ولكن وقع اشتباك هام بين طلائع الثوار وإحدى القوى التركية مما عجل باندلاع الثورة قبل موعدها بأسبوعين فكان خطأ فادحًا إذ تمكنت القوات التركية من إلقاء القبض على عدد كبير من زعماء الثورة قبل وصولهم إلى مركز القيادة وقامت بإعدامهم فوراً.

ورغم حرمان قوى الثورة من كبار الثوار والقادة والزعماء أصحاب الخبرة والدراية بالفنون العسكرية والحربية إلا أن الكبت والغضب سارع باندلاع الثورة وانتشارها انتشار النار فى الهشيم فى جميع أنحاء كردستان ولكن الحماس وحده لا يكفى فى هذه الثورات بل لابد من الحنكة والدربة والخبرة والدراية بالأمور العسكرية لذلك فقد عمل الثوار على محاولة إسقاط المدن الكبرى والسعى للسيطرة عليها اعتقادًا منهم أن تلك هى الوسيلة المثلى لإرغام الحكومة التركية على الإذعان لمطالب الثوار الأكراد.

ولكن ذلك كلف الأكراد كثيراً من النفقات والمؤن والعتاد كما كلفهم كثيراً من الضحايا والشهداء فى الوقت الذى سعى فيه الأتراك إلى تجبيش الجيوش بإعداد العدة والعتاد لهزيمة الأكراد من كل الجهات مثل سيواس وأرضيروم وسواحل البحر الأسود، كما أرسلوا حملة شديدة بلغ عددها خمسة وعشرين ألف مقاتل أرسلوا بقطار السكك الحديدية أو المسمى بقطار الشرق الكبير وبعد قتال شرس طويل ونظراً لعدم الكفاءة ونقص المؤن والعتاد والذخائر وقلة الدربة والتعليم هزم الأكراد هزيمة شديدة رغم الخسائر البشرية والمادية الكبرى التى لحقت بالأتراك والتى قدرها الأكراد بخمسين ألف مقاتل كما بلغت التكاليف المالية ستين مليون جنيه تركى واستخدمت فيها ٩ فرق من المشاة و ٩ آليات من الطوبجية و ٣ فرق من الخيالة وعلاوة على ذلك كان فى القارص وسعرد وماروين ومريات ست فرق من المشاة منذ سبتمبر ١٩٢٤.

ولكن يبدو فعلاً أن الثمن كان غاليًا والتكاليف كانت باهظة إذ أن الصحف التركية الصادرة فى ذلك الحين تؤكد تلك الحقيقة فتقول جريدة مليت التركية فى العدد رقم ١٦٢٤ بتاريخ ١٩ أغسطس سنة ١٩٣٠ «إننا أنفقنا مبلغًا ضخمًا منذ خمس سنين لتأديب بضعة أشقياء ولو كنا صرفناه لإنشاء شبكة من الخطوط الحديدية لدرت على البلاد خيراً كثيراً».

وبعد نجاح الأتراك فى وأد ثورة الأكراد فى مهدها بعد صراع وقتال مرير استمر على مدار خمسة سنوات مشعلاً ومتأججًا قامت القوات التركية بالقبض على القادة والزعماء من الأكراد وشكلت لهم محاكم صورية سميت بمحاكم الاستقلال هى فى حقيقة الأمر أشد

قسوة وفظاعة ومرارة من محاكم التفتيش التى عرفتها أوروبا فى عصورها الوسطى فى فترات هى من أشد فترات التاريخ ظلمة وحلكة.

وراحت الصحف التركية لا سيما جريدة «وقت» تنشر صفحات مطولة من المحاضر السرية لمحاكم التفتيش التركية المسماة بمحاكم الاستقلال.

وقد طلب النائب العمومى التركى تقديم ٥٣ ثائرًا كرديًا إلى المحاكمة بتهمة إثارة الشغب وجاء فى قرار الاتهام:

النائب العمومى. . «إن الثورة الأخيرة التى قامت فى الولايات الشرقية التى هى أهم جزء فى الوطن التركى الخالد من جهة الدفاع والمحافظة على كيان الدولة كانت منبعثة من ذلك الروح الخبيث الذى دفع بلاد البوسنة والهرسك المحاطة من ثلاث جهات بدول أجنبية عن الترك والإسلام إلى الثورة على الترك والذى حمل الأرانطة الذين كانوا تشرفوا منذ خمسة قرون بشرف الوطنية التركية والإخاء العثمانى على طعن الأتراك الذين ما برحوا يعاملون إخوانهم بالعطف واللين المتناهى من خلف ظهورهم فى حرب البلقان والذى أطغى السوريين والفلسطينيين فى الحرب العامة. فالغاية التى تحرك الكرد على الترك الآن هى نفس الغاية الممقوتة التى حركت هؤلاء الأقوام، والقائمون بهذا العمل فى الداخل والخارج هم هؤلاء الخونة الذين اتحدوا مع كثير من الذين لا وطن لهم على مقربة من حدودنا الوطنية بحماية من أعدائنا لهم».

كما أن رئيس الجمهورية التركية مصطفى كمال أتاتورك قد أرسل رسالة إلى المتهمين الأكراد الذين صدر ضدهم حكم بالإعدام شنقًا جاء فيه:

«إن بعضًا منكم سخر الناس لأغراضه الشخصية الدنيئة، وآخرين منكم وضعوا نصب أعينهم تحقيق أطماع سياسية بتحريض من الأجانب وهكذا اتفقتهم فى نقطة واحدة هى تأسيس كردستان مستقل وستنالون الآن عقاب الدماء التى أرقتموها والبيوت التى خربتموها فوق هذه المشانق المنصوبة لتحقيق العدالة».

واللافت للنظر أن جريدة وقت التركية الرسمية قد نشرت فى عددها الصادر بتاريخ ٣ يونية ١٩٢٥ تحت عنوان «كيف دبرت الثورة» تسند التهمة التى من أجلها أعدم الثوار وتصف هذه التهمة بأنها «إنشاء كردستان مستقل» فتقول: «كان قد تأسس فى ولاياتنا الشرقية فى السنة الماضية جمعية سرية غايتها استقلال كردستان، وكان من أهم أركان هذه الجمعية وأعضائها الذين يقيمون فى وطننا . . . الأسماء . . . وقد توقفت الجمعية بواسطة

يوسف خبايك «الذى تم إعدامه شنقًا» إلى ضم عائلة الشيخ سعيد إليها ووضح لكل ذى عينين أن الجمعيات الكردية دبرت الثورة تحت ستار الدين لتصل إلى غايتها الوحيدة وهى إنشاء كردستان مستقل فى ولاياتنا الشرقية».

لم تكن تلك المذبحة والإعدامات بالجملة التى تشبه مذبحة دنشواى فى مصر سنة ١٩٠٧ التى أقامها الإجليز انتقامًا لمقتل جندى انجليزى بضربة شمس وكان يصطاد الحمام فى إحدى قرى محافظة المنوفية فأطلق رصاصة أحرقت أحد أجران القمح فطارده بعض الفلاحين فجرى هاربًا حتى سقط ميتًا من ضربة شمس فنصب الإنجليز المشانق وأحضروا القضاة لمحاكمة أبناء دنشواى، وأصدروا عدة أحكام شديدة منها إعدام أربعة من أهالى القرية.

لم يكتف الأتراك بذلك بل وجدوا تلك الثورة فرصة مناسبة لإعادة تنفيذ سياسة التهجير والإبعاد و «التذويب» أى إمحاء الشعب الكردى وإعادة توزيعه داخل الشعب التركى.

وكان الأتراك يتبعون فى ذلك سياسة التشتيت فيتعمدون مثلاً نقل سكان بايزيد من الأكراد فى مناطق أقصى كردستان شرقًا إلى منطقة أزمير فى أقصى تركيا غربًا ـ وتم ذلك خلال شهرى يناير وفبراير أى فى الشتاء البارد القارس مما أودى بحاية كثير من العجائز والأطفال فى رحلة الشتات والتهجير بالغة القسوة.

وكانت الأجهزة الأمنية تستخدم كل الأساليب القمعية والوحشية لإخلاء القرى الكردية بالقوة الجبرية تعاونهم الطائرات والدبابات والمدافع الثقيلة وكانوا يعمدون إلى دك القرى التى يرفض أهلها التهجير ويدمرونها على من فيها.. علاوة على ارتكاب بعض الممارسات المخالفة للقانون مثل قيام بعض رجال الشرطة بسرقة أموال أغنياء الأكراد وتجريد السيدات من حليهن وقد تمكن رجال ٢٥ عائلة من أكراد منطقة بحيره وان من الفرار من بطش الأتراك واعتصموا بالجبال فما كان من الأتراك إلا أن قبضوا على نساء هذه العائلات جميعها ومعهن أطفالهن فقطعوا رءوسهن جميعًا ومثلوا بالجثث تمثيلاً يندى له الجبين وطافوا بالجثث فى شوارع القرى الكردية إمعانًا فى البطش والتنكيل ولإرهاب باقى القرى.

وفى سنة ١٩٢٧ قام القائد العسكرى التركى مصطفى بك قائد الفرقة المدرعة رقم ٤١ بتدمير ٤٣٠ قرية كردية عامرة بالسكان بعد أن فتح نيران مدفعيته الثقيلة على بيوت ومنازل وسكان هذه القرى لرفض أهالى هذه البلدان خطة التهجير الجماعى التى قررها الأتراك..
وعندما شعر الأكراد بالخطر الداهم حاولوا الفرار من جحيم القصف المدفعى فلم يمكنهم

الأتراك من الخروج وآثروا أن يجعلوا من بيوتهم مقابر لهم دون رحمة..

وهكذا تحولت هذه القرى إلى مقابر جماعية وتحولت الأرض إلى مزارع للهب والنار المتأججة ولم يستطع الإفلات من هذه القرى جميعها إلا ما يقرب من خمسين فردًا.. وقد دخلت القوات الغازية إلى تلك القرى المحترقة فقتلت من بقى من الأطفال وبقرت بطون النساء وألقيت جثثهم فى النيران المشتعلة.. وهكذا كان يرتكب الأتراك المذابح والمجازر البشعة التى تمتلئ بها كتب التاريخ.. وطبعًا مذابح الأكراد فى حروب البلقان معروفة خاصة ما وقع منهم ضد الصرب والألبان والأرمن، وتذكر لنا كتب التاريخ وقائع كثيرة لعمليات الإبادة اللاإنسانية والتعذيب الوحشى وننقل منها واقعة واحدة على سبيل المثال فقط «قبض البكباشى حيدر بك قائد كوكبة من الخيالة على بعض أعيان بلدة «أرغنى معدنى» بتهمة الوطنية الكردية وهم يوسف أفندى وعبد الرحمن أفندى ومصطفى أفندى وأجبروهم على المشى مدة شهر ليل نهار أمام الخيالة من جنوده مع الضرب واللكم واللطم. ثم يجلد كلاً منهم ثلاثين جلدة كل ليلة، وبعد ذلك يسمح لهم بقليل من الطعام واستمر على هذا الحال معهم لمدة شهر كامل وفى نهايته أمر برميهم بالرصاص أجمعين.

وتؤكد الإحصائيات أن عدد من أجبروا على الهجرة الجماعية من كردستان فى تلك الفترة حوالى المليون نسمة علاوة على من قتلوا بيد الأتراك أو ماتوا بسبب المرض وكبر السن أو الظروف المناخية القاسية.

وقد أرسلت هيئة الأمم المتحدة وهيئات دولية عديدة لجانًا لتقصى الحقائق والتحقيق فى المذابح البشرية التى ارتكبت ضد الأكراد ولكن الحكومة التركية منعت هذه اللجان من مباشرة مهمتها ولم تسمح لها بالتجوال فى المناطق الكردية كما لم تمكنهم من الحديث مع أى إنسان كردى.

الشيء اللافت للنظر أن معظم مصائب الأكراد قد أصابتهم بسبب عدم معرفتهم بدهاليز السياسة ومكرها، وأنهم كانوا يُخدعون بالشعارات الدينية والعرقية والمذهبية فرغم علاقتهم المتميزة بالإيرانيين أشقائهم وأبناء عمومتهم نلاحظ أنهم ينضمون إلى الأتراك فى حربهم مع إيران ويعود ذلك أيضًا إلى طبائعهم المتقلبة وصراعاتهم الداخلية التى كانت أشد عداوة عليهم من أعدائهم. فالمعروف أن الأكراد تحالفوا مع السلطان التركى طواعية واختياراً وبتأثير الوازع الدينى، وذلك عندما اصطحب السلطان العثمانى معه علامة العصر إدريس التبليسى رجل الدين الكردى الشهير وشيخ الإسلام الجليل الذى كان له نفوذ كبير عند أمراء

كردستان، خاصة أن الأكراد يجلون ويعترفون بفضل ومكانة علماء الدين حيث أن هذا العالم الدينى كان يعتنق المذهب السنى ويرفض مذهب الشيعة المنتشر فى ربوع إيران فتحالف مع السلطان العثمانى وأيده فى عدائه للشاه إسماعيل الصفوى الشيعى المذهب، لذلك راح الأكراد ينضمون إلى معسكر الأتراك ويساعدونه مساعدات حاسمة استطاعوا بها أن يهزموا الشاه إسماعيل فى موقعة جالديران الشهيرة سنة ١٢٥٨ وهذا النصر شد من أزر وعزيمة الأتراك وشجع السلطان سليم الأول على الزحف على المشرق العربى متجهًا إلى مصر فهزم السلطان الغورى فى موقعة مرج دابق على مسيرة يومين من حلب سنة ١٢٦٠ عندما سقط السلطان قنصوه الغورى وقتل تحت سنابك الخيل واستمر زحف العثمانيين إلى مصر التى كان على قيادتها طومان باى نائب السلطان الغورى فانتصر عليه فى موقعة الريدانية قرب العباسية وعلق السلطان على باب زويلة بعد قتله لمدة ثلاثة أيام.

* * *

منظمة خويبون
ودورها فى الكفاح المسلح

عندما حل القرن العشرون واشتعلت الثورات الكردية الواحدة تلو الأخرى وانتشر العلم والتعليم والبعثات الخارجية ووصول وفود التبشير النصرانية من الدول الأوربية وانشغال الرأى العام بالسياسة نتيجة الحرب العظمى ثم فتح المجال فى مؤتمر الصلح الذى عقد بباريس أمام الأقليات المهضومة الحقوق لتطرح قضيتها عن طريق مندوبيها أمام دول الحلفاء.. ونشاط الزعماء والقادة والمفكرين السياسيين فى إيقاظ الشعور القومى والفكر السياسى لدى العامة وانشغال الصحف بالترويج لهذه الوقائع والأفكار، كل ذلك أدى إلى انتشار الجمعيات والأحزاب السياسية وازدياد نشاطها وتشعب فروعها وكثرة اهتمام العامة والتفافهم حولها.

كما أن المصير الدامى والختام المأساوى الذى آلت إليه ثورة ١٩٢٥ أدى إلى ردود فعل قاسية لدى المواطنين الأكراد فقام الزعماء والأمراء ورؤساء العشائر بالاتفاق على عقد مؤتمر كردى كبير يضم كل المشتغلين بالقضية من زعماء وأعيان ورؤساء الجمعيات السياسية لاتخاذ القرارات التى من شأنها تفعيل القضية الكردية وجعلها فى دائرة الاهتمامات الدولية وإعادة ومواصلة النضال من أجل إنقاذ كردستان من براثن الترك.

وقد تمكن الأكراد من عقد مؤتمرهم العام سنة ١٩٢٧ بعد أن استغرق حوالى السنة من الإعداد والترتيب والدعوة، وقد دام هذا المؤتمر شهراً ونصف الشهر وخرج بعدة توصيات أهمها:

أولاً : حل جميع الجمعيات الكردية الموجودة والعاملة على الساحة السياسية تمهيداً لتأسيس جمعية كردية كبرى تضم جميع الجمعيات القديمة إلى جانب الأعضاء الجدد.

ثانياً : الإستمرار فى الثورة ومداومة الكفاح بكل عناصره حتى يغادر آخر جندى تركى الأراضى الكردية.

ثالثاً : وضع خطوات تنفيذية قبل الشروع فى الثورة العامة لتحرير كردستان وهى:

(أ) تعيين قائد عام لجميع القوى والعناصر الوطنية الكردية.

(ب) تنظيم جميع القوى الثورية وإعدادها على أساليب عسكرية وحربية مع تسليحها بأحدث معدات الحرب والقتال.

(حـ) تأسيس مركز عام للثورة والقيادة العليا للقوى الوطنية الكردية فى جبل من جبال كردستان الشامخة.

(د) تأسيس علاقات أخوية دائمة ومناسبة مع الحكومة الإيرانية والشعب الفارسى الشقيق.

(هـ) إقامة علاقات أخوية ودائمة مع حكومتى العراق وسوريا اكتفاء بالحقوق التى خولتها صكوك الانتداب وغيرها من المعاهدات الدولية المكفولة لأكراد هذين القطرين، وعدم مطالبة الحكومتين العراقية والسورية بأى حق سياسى جديد سوى ما تقدم.

وكان الأكراد أكثر حماسًا وجدية هذه المرة بفعل المشاعر الملتهبة التى أحدثتها مجازر الأتراك فيهم فلم تمر فترة وجيزة إلا وتم إنشاء مئات من الفروع واللجان الشعبية لجمعية سياسية عامة أطلق عليها اسم جمعية «خويبون» حيث انضوى جميع الأكراد تحت لوائها كما استطاعت الجمعية أن تنشئ لها مكاتب وفروعًا لدى أكراد المهجر فى دول أوروبا وأمريكا.

وكلفت قيادة الجمعية إحسان نورى باشا بتأسيس تشكيلات عسكرية فى مركز القيادة المخصص لها وهو آغرى داغ حيث قام إحسان نورى بإعداد وتجهيز مركز قيادة منيع فى ذلك الجبل العالى.

استطاعت منظمة خويبون أن تستفيد من أخطاء الثورات السابقة فرغم تكوين جيش كردى نظامى إلا أنها لم تحاول - تكتيكيًا - الدخول فى مواجهات عسكرية مباشرة مع الجيش النظامى التركى لفارق العدة والعتاد والقوات إلا أنها وجهت لهذا الجيش وإلى المرافق الحيوية التركية ضربات موجعة حيث كالت له الطعنات فى مقتل عندما اتخذت حرب العصابات أسلوبًا جديدًا لإنهاك الحكومة التركية حيث كانت ترسل الخلايا والفدائيين إلى المرافق التركية ومصالح وهيئات العمل التركى مما حدا بالحكومة التركية إلى تجهيز حملة كبرى سنة ١٩٢٨ أغارت على جبال آغرى داغ لإخماد الثورة الكردية وتأديب الثوار، ولكن الحملة فشلت فشلاً ذريعًا لمناعة القيادة العسكرية للأكراد والتطور العسكرى والقتالى الذى وصل إليه الأكراد بحيث كانوا يلجأون إلى أساليب الكر والفر والإغارة الخاطفة على القوات التركية ثم يختبئون فى شعب الجبال فلا يعثر لهم الأتراك على أثر.

اضطرت الحكومة التركية إلى تغيير أسلوبها مع الأكراد وتخفيف الويلات عن هذا

الشعب المستهدف فتوقفت حملات التهجير الجماعى ضد القبائل والعشائر الكردية وأصدر الأتراك قانونًا أطلقوا عليه قانون تأجيل العقوبات ثم أتبعوه بإعلان عفو عام بل وأكثر من ذلك صدر مرسوم بالسماح بعودة المهجرين والمنفيين إلى ديارهم وأهلهم وذويهم. كما تم تغيير المفتش العام لمنطقة كردستان وعين مفتش عام جديد جمع فى يديه جميع السلطات المدنية والعسكرية ثم وجهت الحكومة التركية دعوة عامة إلى عموم الأكراد بترك السلاح ووقف جميع الأنشطة العسكرية وحل الجمعية الوطنية الكردية «خويبون».

هنا أدرك الأكراد هدف الحكومة التركية من أساليب المسايسة والمداهنة السابقة فازدادوا تمسكًا بجمعية خويبون لا سيما وأن صور المذابح والمجازر البشعة وأساليب القتل والتنكيل بإخوانهم ما زالت ماثلة أمام عيونهم كأنها كابوس مزعج، فرفض الأكراد إلقاء السلاح والتوقف عن الكفاح حتى جلاء آخر جندى تركى من أرض كردستان كما رفضوا حل منظمة خويبون.. وعندما أدرك الأتراك أن حيلهم لم تنطل على الكرد فلم يجدوا بدًا من اللجوء إلى أسلوبهم المعتاد وهو إعداد حملة عسكرية أكبر حجمًا وأوسع نطاقًا.. وبدأوا من أواخر أبريل ١٩٣٠ فى التجهيز لحملة عسكرية كبيرة للهجوم على معاقل الأكراد وتوجيه ضربة إجهاض لهم.. وفى المقابل قرر الأكراد اللجوء إلى أسلوب الدفاع بدلاً من الهجوم للاستفادة من الموانع الطبيعية التى توفرها المناطق الجبلية لأبنائها واعتقد الأتراك أن جنوح الأكراد لأسلوب الدفاع التكتيكى هو نوع من الضعف فزاد ذلك من غرورهم فأسرعوا فى إعداد الحملة الكبرى التى استمر إعدادها أكثر من ثلاثة أشهر فى سرية تامة وتعتيم شديد حتى الجنود والضباط أنفسهم لم يعرفوا فى البداية بوجهتهم الحقيقية.

وفى فجر يوم ١١ يونية ١٩٣٠ انطلقت القوات التركية فى إتجاه القيادة العسكرية للأكراد فى جبل آغرى داغ وظلوا فى السير مدة ثلاثة أيام يقطعون جبالاً وأحراشًا وهضابًا وعرة وقد أغراهم الهدوء التام وحالة السكينة التى قوبلوا بها فى مختلف القرى والمناطق الكردية التى مروا بها فاعتقدوا أن جنود الأكراد لاذوا فرارًا واعتصموا بالجبال فواصلوا سيرهم وتوغلوا داخل معاقل الأكراد وهم لا يدركون أنهم دخلوا إلى الشرك بأقدامهم.

وفجأة انطلقت ضدهم موجات الزحف للقوات الكردية من كل فج عميق من مناطق ايغدير وتندرك وأرجيش ووان وبدليس وجبل سبحان مما أوقف الزحف التركى واضطرت القوات الغازية إلى الركون إلى الدفاع.

وفى ١٣ يونية نشبت معركة كبرى فاصلة واستمرت المعارك الدامية حتى ١٣ يوليو من

نفس العام فقد الأتراك فيها العدة والعتاد والجنود وعادوا يجرون الخزى والعار بعد أن تركوا وراءهم آلاف القتلى والجرحى وفقدوا ١٢ طائرة و ٦٠ مدفعًا ثقيلاً وستين ألف خرطوشة وخمسين متراليوزًا، ١٥٠ خيمة وثلاثة آلاف بندقية وأربعين حمل جمل ذخيرة كما بلغ عدد الهاربين إلى الجبال من القوات التركية أربعة آلاف جندى، وتشتت شمل الجيش التركى العرمرم ولم يبق له فى المنطقة سوى الفيلقين السابع والثامن، واضطرت القوات التركية إلى تجنيد الصبية لإمداد الجبهة الكردية بالمدد فجندت مواليد ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥ فى محاولة للإستعداد لحملة كبرى وموقعة فاصلة تدور رحاها فى سبتمبر.

وحتى تبرر تركيا حالة الطوارئ القصوى التى أعلنتها والتجنيد العام على مستوى الدولة راحت تزيع أخبارًا وحكايات عن غارات اللصوص فى المناطق الجبلية وعن محاولات التسلل التى قام بها الأعداء الإيرانيون على المناطق الحدودية.. ثم اضطروا إلى القول أن هناك تمردًا بين عشائر الأكراد وأنهم يساندون بعض محاولات التسلل الإيرانية، وأن حركة التمرد فى كردستان تهدف إلى ضرب حركة الديمقراطية والتحضر التى تنهض بها الحكومية التركية واضطرت إلى الإعتراف بوجود هزائم وخسائر بين صفوف القوات التركية.. وإن كانت هذه الأخبار والحملات الدعائية قد أفادت إلى حد بعيد الأكراد الذين بدأت حملات المتطوعين من العراق وسوريا تصل إليهم عبر السلاسل الجبلية الوعرة على الرغم من إحكام الطوق الأمنى عليهم من قبل الحكومتين البريطانية والفرنسية.

وأمام هزائم الجيش التركى جن جنون حكومة تركيا وطاش صوابها ولجأت إلى سابق عهدها فى اتخاذ الأساليب الوحشية والبربرية فقاموا بقصف جميع القرى الكردية قصفًا عنيفًا بالمدرعات والمدفعية الميدانية الثقيلة ودكوا القرى الآمنة على ساكنيها من النساء والأطفال والشيوخ والعجزة مع العلم بخلوها من الثوار الذين اعتصموا بالجبال وأخلوا القرى وقد تم حرق وتدمير وتخريب ٢٢٠ قرية كردية كاملة يبلغ سكانها جميعًا حوالى ١٠ آلاف نسمة، كما اعتقلوا مائة رجل من متوسطى الأعمار فى القرى وألقوا بهم من الطائرات أحياء فى بحيرة وان - ثم اتجهوا إلى منطقة جولامرك التابعة لمركز حكارى حيث أحرقوا ما يقرب من ثلثمائة قرية وأعدموا رميًا بالرصاص ٥٠٠ نسمة من السكان مستخدمين أفظع الصور وأبشعها، كما قامت الطائرات التركية بإحراق ٤٠٠ قرية كردية بمنطقة جبل أغرى وتندرك وهدمها على سكانها العزل من السلاح.

أما قوات المشاة التركية التى كان يقودها الجنرال جواد باشا فكانت تحرق كل قرية تمر بها

أثناء زحفها من ولاية حكارى حتى شمدينان حتى هدمت ١٢٠ قرية وأتلفت كل ما بها من زراعات، أما القوات الأخرى بقيادة الجنرال كمال الدين سامى باشا فقد دمرت ٨٣ قرية فى منطقة جالديران وقتلت ٥٩٠ نسمة.

وعندما تأزمت الحالة فى المناطق الكردية عقد اجتماع فى الأستانة ترأسه رئيس الجمهورية التركية وضم عددًا من القادة العسكريين والوزراء تم بعده اتخاذ عدة قرارات هامة لقمع ثورة الأكراد ومنها:

(١) إلغاء حياة العشائر والأسلوب القبلى الذى يعيشه الأكراد بتوزيع أفراد القبائل على الولايات التركية المختلفة.

(٢) تجريد سكان الولايات الشرقية الكردية أو ذات الأغلبية الكردية من السلاح.

(٣) التهجير والتشتيت الجماعى للسكان بحيث لا يلتئم شمل العائلة الواحدة فى مكان واحد.

(٤) تتريك السكان بصورة إجبارية ومحو القومية الكردية محوًا تامًا.

(٥) حظر التكلم أو التعامل أو القراءة والكتابة باللغة الكردية[١].

وقد وصل صدى تلك المذابح والمجازر التركية ضد الأكراد إلى سمع وبصر ووعى كل القوى والجماعات والمنظمات الدولية وجمعيات حقوق الإنسان والرأى العام المستنير على مستوى العالم. واجتمعت على أثر ذلك اللجنة التنفيذية لمكتب العمال الإشتراكى الدولى فى زيورخ فى ١٣ أغسطس ١٩٣٠ وأصدرت قرارها التالى:

«تلفت اللجنة التنفيذية لمكتب العمال الإشتراكى الدولى نظر العالم إلى المذابح التى تقوم بها الحكومة التركية فى الأكراد الذين يناضلون فى سبيل حريتهم بل تقوم بها ضد الشعب الكردى المتألم الذى لم يشترك فى الحركة وبذلك يريد الأتراك أن ينال الأكراد على يدهم ما ناله الأرمن. هذا من غير أن يحتج الرأى العام فى الأمم العظمى على هذه الوحشية. واللجنة تلفت النظر أيضًا إلى الأخطار الجدية التى قد تهدد السلام بانتهاك حرمة الأراضى الفارسية من جانب الجيش التركى. وهذا دليل جلى على عدم كفاية هيئة العالم الدولية التى تنتهك كرامة القوى العسكرية بغزوها أرض أمة ضعيفة. والهيئة التنفيذية تدعو العالم إلى الاحتجاج على ما يجرى فى كردستان من حوادث دامية يذهب الشعب الكردى ضحية لها»[٢].

---

(١) جريدة الأحوال البيروتية عدد ١٣ أغسطس ١٩٣٠م.

(٢) جريدة الأهرام المصرية عدد ٩ سبتمبر ١٩٣٠م.

ومن المثير للأسف أن هذا القرار يصدر عن جهة أوربية بعيدة بآلاف الأميال عن الوطن بينما تقف حكومات إنجلترا وفرنسا وإيران مكتوفة الأيدى بعد أن اكتفت بدور المتفرج أحيانًا والمؤازر للحكومة التركية أحيانًا أخرى بحجة التزامهم بمعاهدات حسن الجوار المبرمة مع الحكومة التركية والتزامهم أيضًا ببنود معاهدة لوزان وسيفر ومواثيق هيئة الأمم، أما نصوص معاهدة لوزان التى تخص الأكراد فمن الملاحظ أنها دفنت فى مقبرة سرية ولم يحصل عليها حتى فى مساجد المسلمين.

والدليل على بشاعة المذابح البشرية التى اقترفها وارتكبها الأتراك ضد الأكراد ومحاولة إفناء العنصر الكردى والقومية الكردية تصريح خطير لوزير العدل التركى محمود أسعد بك يقول فيه:

«إن عقيدتى ونظريتى هى هذه: ليعلم الصديق والعدو حتى الجبال أن سيد هذه البلاد هو التركى فمن لم يكن من الدم التركى الصميم ليس له فى الوطن التركى سوى حق واحد هو أن يكون خادمًا وعبدًا. نحن فى بلاد أكثر حرية من جميع بلاد العالم. هذه هى تركيا. ولم تكن لتوجد فرصة أعظم من هذه ليبوح فيها نائبكم بعقيدته. ولهذا ترونى لا أخفى عواطفى وإحساساتى عن أحد»(1).

ويعد هذا التصريح الوارد على لسان وزير العدل أخطر تصريح أدلى به مسئول تركى حيث يعترف صراحة بدعوته وعقيدته العنصرية التى تبدو أشد خطورة من الدعوى الصهيونية والذى لا يقر بالسيادة وحق المواطنة إلا لمن كان من دم تركى صميم.

والطريف أنه يعود ليتشدق بالزعم أن تركيا بلد أكثر حرية من جميع بلاد العالم والأكثر طرافة أنه يحصر هذه الحرية.. فى حرية الإختيار للكردى إما أن يكون خادمًا أو يكون عبدًا للأتراك.

ولكن الأكراد أدركوا أنه ليس أمامهم سبيل إلا مواصلة حركة الكفاح والنضال بكل الوسائل والسبل على جميع الأصعدة السياسية المحلية والدولية وعلى الصعيد العسكرى أيضًا وأن هذا الكفاح لا يجب أن يتوقف لحظة واحدة إلا بجلاء آخر جندى تركى من أراضى كردستان أو مقتل آخر مواطن كردى على أراضى كردستان.

* * *

(1) جريدة مليت التركية عدد ١٩ سبتمبر سنة ١٩٣٠.

الجمهورية الكردية المستقلة

كردستان إيران جزء لا يتجزأ من المشكلة الكردية كما أن المناطق الكردية الإيرانية تجاور المناطق الكردية فى كل من العراق وتركيا وفى منطقة السلاسل الجبلية المشتركة بين حدود الدول الثلاث كان دائمًا مسرح عمليات الحزب الديمقراطى الكردى وحزب كوملة اللذين يحتفظان بوحدات عسكرية متحركة لا تتوقف وكان الحزبان يضطران فى كثير من الأحيان إلى نقل هذه الوحدات العسكرية العاملة من منطقة إلى أخرى بسبب الظروف السياسية والعسكرية فى كل دولة من الدول.

وحينما قامت الثورة الإسلامية فى إيران وتحقق لها الانتصار دخل معها العراق فى عداء طويل وحرب استمرت ثمانى سنوات، وتبعًا لهذا العداء أسبغت الحكومة العراقية الحماية على الجماعات السياسية التى تعادى الثورة الإسلامية، لهذا استمتع الأكراد لا سيما حزبى كوملة والديمقراطى الكردى بحماية العراق طوال ١٢ سنة (١٩٨٠ ـ ١٩٩٢) وقد اتخذ الحزبان عدة خطوات أهمها:

(١) تثبيت تمركزهم السياسى والعسكرى على أراضى كردستان العراق.

(٢) جلب الكوادر العسكرية من كردستان إيران إلى العراق لاستمرار تدريبهم وتنظيمهم وإعدادهم.

(٣) التزود بالأسلحة والمهمات وكافة المتطلبات العسكرية.

(٤) إنشاء محطة إذاعية خاصة بالأكراد.

(٥) علاج الجرحى والمصابين فى اشتباكاتهم فى كردستان إيران داخل مستشفى خاص فى كردستان العراق.

(٦) الاستفادة من الإمكانيات الإعلامية للحكومة العراقية مثل الإذاعة والتليفزيون والصحافة الحكومية.

(٧) استخدام المطارات العراقية فى السفر إلى أوروبا من قبل كوادرهم السياسية ونقل الجرحى والمصابين الذين تستدعى حالتهم العلاج فى الخارج، وقد أقام الحزب الديمقراطى مركز قيادته حول قرية جلالة من توابع قرى السليمانية فى مناطق أكراد العراق وتقوم على

حراستها قوة مسلحة من عناصر الحزب الديمقراطى قوامها ثلاث كتائب.

وقد نشطت الجمعيات السياسية التى تحولت أغلبها إلى أحزاب سياسية خلال القرن العشرين وراحت تنتعش وتعمل على إقلاق راحة الأنظمة الحاكمة فى إيران والعراق وتركيا، وكانت هذه الأحزاب جنة ونارًا، ففى الوقت الذى كانت تعمل فيه على نشر الوعى السياسى والثقافى لدى الأكراد إلا أنهم كانوا مثار متاعب فى بعض الأحيان عندما يقومون ببعض أعمال التخريب والقتل لرجال الأمن فينقلب العقاب الجماعى على الشعب الكردى نفسه بينما يختفى المخربون فى الجبال. كما أن معظم هذه الأحزاب لم يكن لها وجود فاعل لدى الشارع الكردى بصفة عامة، بل كان أغلبها كانتونات صغيرة أو ما يسمى بدكاكين حزبية تجتذب كثيرًا من الشباب ببعض الدعاوى التحريرية مثل الحرية الكاملة للاختلاط بين الأولاد والبنات والمتعة واللهو، ولكنها كانت دائمًا تفتقد الجذور أو التنظيمات القاعدية.

وكانت معظم الشعارات التى تتبناها الأحزاب السياسية تدور دائمًا حول الديمقراطية والحرية والعدالة الإجتماعية والحقوق الوطنية.. لكن الفكر السياسى الناضج بدأ فى الظهور خلال حقبة السبعينات وما بعدها بفعل تأثير خطب الإمام الخومينى التى كان صداها يصل مهاباد.

أما الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الأولى فقد تميزت ببلورة المشكلة الكردية من واقعها الجغرافى إلى واقعها السياسى وأصبحت مشكلة شعب يريد أن يستقل بوطنه وأن يحكم نفسه بنفسه وظهرت على السطح دعوة حزب P K K (حزب العمال الكردستانى) إلى تأسيس كردستان الكبرى حرة مستقلة وبدأت فكرة تحويل القضية الكردية بشكل تكاملى وليس بشكل جزئى أى أنه بدلاً من أن يفكر كل جماعة من الأكراد فى الاستقلال عن القطر الذى له الولاية عليهم بدأت فكرة كردستان الكبرى بمعنى استقلال الأجزاء الإيرانية والعراقية والتركية لتقوم الدولة الكردية على كل أقاليم كردستان.

ومع بداية الحرب العالمية الثانية تزحف القوات السوفياتية عام ١٩٤٢ فى عهد ستالين إلى شمال إيران وتحتل مناطق كردستان وتظل المنطقة تحت نفوذهم خمسة أعوام وتتشكل فى ذلك الوقت جمعية البعث الكردى (كوملة) كما يتشكل الحزب الديمقراطى الكردستانى.

وتتشكل أيضًا جمهورية كردستان المستقلة وعاصمتها مهاباد بدعم من الجيش الأحمر

الروسى. وقد نشأ حزب كوملة أول ما نشأ فى مدينة مهاباد حيث الأمان والحماية الكردية وكانت أهم الشروط للإنضمام إلى جمعية كوملة أن يلتزم العضو كتابة بعدة شروط هى:

* عدم خيانة الأكراد.
* العمل على المطالبة باستقلال كردستان.
* عدم إفشاء أسرار الجمعية.
* أن يظل فى عضوية الجمعية حتى نهاية عمره.
* عهد المؤاخاة وهو أن يعتبر جميع الأكراد والكرديات إخوة وأخوات له.
* ألا ينضم لأى حزب أو جمعية أخرى بدون تصريح بذلك.

وخلال فترة احتلال السوفيت لكردستان اختمرت فى ذهن القادة السوفيت ضم جمعية أذربيجان وشمال كردستان الإيرانية إلى أذربيجان السوفياتية ضمن خطة توسيع الحدود السوفياتية إذ أن عدد سكان أذربيجان كان سيزيد بعد هذا التوسع عن ثمانية ملايين نسمة وبذلك يستطيع رئيس جمهورية أذربيجان أن ينضم إلى مجلس السوفييت الأعلى.

وقد تم فى هذه الفترة تشكيل حزب أذربيجان الديمقراطى وحزب كردستان الديمقراطى بتأييد من الحكومية السوفياتية.

وقد دعى القاضى محمد قاضى مدينة مهاباد الذى أصبح فيما بعد رئيسًا لجمهورية كردستان المستقلة فى مهاباد إلى زيادة الاتحاد السوفياتى مرتين وبعد عودته وفى عام ١٩٤٦ أعلن رسميًا عن قيام الحزب الديمقراطى فى مدينة مهاباد وكان برنامجه يقوم على:

* الشعب الكردى حر ومستقل فى إدارة أموره المحلية داخل إيران، ويتعهد باستقلال الأكراد داخل الدولة الإيرانية.
* الاعتراف الرسمى باللغة الكردية وحق كل طالب كردى أن يدرس بها.
* تنتخب على الفور جمعية حكم كردستان طبقًا للدستور وتشرف وتهيمن على كافة الأمور الإجتماعية والحكومية.
* أن يكون جميع موظفى الحكومة من أهل المنطقة.
* الالتزام بإنفاق جميع عائدات المنطقة على أهلها.

* أن يسعى الحزب الديمقراطى على وجه الخصوص إلى إقامة الوحدة والإخوة بين شعب أذربيجان والشعوب الأخرى التى تعيش فى أذربيجان مثل الآشوريين والأرمن وغيرهم.

* أن يكافح الحزب الديمقراطى الكردستانى من أجل الرفاهية الاقتصادية والمعنوية للشعب الكردى عن طريق الاستفادة من المصادر الطبيعية الغنية لكردستان وتطوير الزراعة والتجارة والتقدم بالأمور الصحية والثقافية.

وبعد تأسيس الحزب أعلن القاضى محمد فى ديسمبر عام ١٩٤٦ فى مدينة مهاباد تأسيس الجمهورية الكردية المستقلة وألقى خطبة تأسيس الجمهورية ثم استعرض الضباط السوفييت وهو يرتدى البدلة العسكرية ويحمل رتبة جنرال ثم أعلن بعد ذلك عن تشكيل وزارته وتضم:

* الحاج بابا شيخ رئيسًا للوزراء.
* محمد حسين سيف قاضى وزيرًا للحربية.
* محمد أمين معينى وزيرًا للداخلية.
* الحاج رحمن أغا مهتدى وزيرًا للخارجية.
* أحمد إلهى وزيرًا للاقتصاد.
* إسماعيل ايلخانى زاده وزيرًا للطرق.
* الحاج مصطفى داودوى وزيرًا للتجارة.
* محمود ولى زاده وزيرًا للزراعة.
* كريم أحمدين وزيرًا للبريد والتلغراف.
* مناف كريمى وزيرًا للثقافة.
* صديق حيدرى وزيرًا للإعلام.
* خليل خسروى وزيرًا للقوى العاملة.

ثم تم تغيير وزير الحربية ليتولاها الملا مصطفى البرزانى الذى كان قد فر من العراق إلى الاتحاد السوفيتى وأعطى رتبة جنرال.

لقد كان هؤلاء القادة والزعماء وطنيين ومخلصين ولكن كالعادة كانت تنقصهم الحنكة

السياسية فقد طالبوا باستقلال جمهوريتهم وجلاء القوات السوفياتية، وبالفعل استجابت الحكومة السوفياتية لمطلب الثوار وانسحبت من الأراضى الإيرانية.. وبعد أيام دخلت القوات الإيرانية شوارع مهاباد وقبضت على القاضى محمد رئيس الجمهورية بدون أدنى مقاومة تذكر، وقبضت على زعماء الحزب الديمقراطى بعد أقل من مائة يوم على قيام هذه الجمهورية الكردية، وتم إعدام القاضى محمد وأخيه صدر قاضى وابن عمه محمد حسين سيف قاضى فى نفس ميدان تشهارباغ الذى أعلنت منه الجمهورية.

وفر بعض الأكراد وعلى رأسهم الملا مصطفى البرزانى إلى الاتحاد السوفياتى وظل بها حتى عام ١٩٥٨ حين قامت ثورة تموز.

ومنذ إعدام القاضى محمد واحتلال مبنى الحزب الديمقراطى وسقوط جمهورية مهاباد المستقلة فى كردستان إيران.. شهدت المسألة الكردية خمودًا وصمتًا استمر ٣٠ عامًا على الأراضى الإيرانية بينما انتقل الصراع إلى كردستان العراق.

* * *

كردستان العراق
وثورة مصطفى البرزانى

غير أن أطول الثورات الكردية على الإطلاق كانت ثورة البرزانيين التى اندلعت فى كردستان العراق وتزعمها الملا مصطفى البرزانى سنة ١٩٤٦ وكادت الثورة أن تحقق عدة انتصارات بفضل تبنيها لأسلوب حرب العصابات لولا أن القوات المركزية استطاعت مطاردتها وعملت على القضاء عليها مستخدمة كل ألوان البطش والتنكيل حتى انهزمت قوات البرزانى سنة ١٩٤٦، فاستطاع الهروب من خلال السلاسل الجبلية متجهًا إلى الإتحاد السوفيتى، وهناك رحب السوفييت كثيرًا بالملا مصطفى البرزانى واعتبروه ورقة رابحة يمكن استغلالها فى الوقت المناسب لا سيما وأن الإتحاد السوفياتى كان يحتل جزءًا من شمال إيران يضم جزءًا كبيرًا من كردستان فعين السوفييت البرزانى جنرالاً فى الجيش الروسى وسمحوا له بإقامة أول جمهورية كردية مستقلة على أرض كردستان واتخذ لها عاصمة مدينة مهاباد وسميت جمهورية مهاباد الكردية الإسلامية المستقلة وكان ذلك نكاية فى الشاه رضا بهلوى، شاه إيران الذى كان بينه وبين السوفييت عداء شديد.

لكن السحابة السوداء التى كانت بين الروس والإيرانيين ما لبثت أن انقشعت وانسحب الجيش الأحمر من الأجزاء المحتلة من إيران بعد أن وقعت معاهدة صلح بين الدولتين ووجدت الجمهورية الكردية الناشئة نفسها بلا ظهر يحميها فى الوقت الذى تقدمت فيه نحوها فيالق الجيش الإيرانى الذى استطاع القضاء على الحكومة الكردية فى مهاباد وألقى القبض على رئيس الجمهورية غازى محمد وتم إعدامه علنًا بينما هرب وزير الدفاع الملا مصطفى البرزانى إلى الإتحاد السوفييتى مرة أخرى ومعه ٥٦٠ رجلاً من الزعماء الأكراد ومكث فى الإتحاد السوفييتى قرابة ١٢ عامًا.

وحين قامت ثورة تموز عام ١٩٥٨ فى العراق وتمكن الثوار بقيادة عبد الكريم قاسم من اعتلاء السلطة وقتل الملك فيصل ملك العراق ونورى السعيد رئيس الوزراء والأمير عبد الإله ولى العهد ودانت لهم الأمور، أبدى الثوار الجدد تفهمًا واضحًا للأمانى القومية للأكراد وأظهروا عطفًا شديدًا على قضيتهم وقرروا مساندتهم وإعطاءهم كافة حقوقهم المشروعة وكانت بادرة طيبة من الثوار الجدد فى العراق.

وقد أرسل عبد الكريم قاسم فى استدعاء الملا مصطفى البرزانى من منفاه فى الاتحاد السوفييتى.. وعاد البرزانى واستقبل استقبالاً حافلاً وأنزله عبد الكريم قاسم فى قصر نورى

السعيد باشا رئيس الوزراء السابق ووفر له حياة كريمة وحفظ له مكانته الاجتماعية وظهرت فى الندوات والمؤتمرات والاجتماعات السياسية وعلى صفحات الصحف وأجهزة الإعلام المختلفة عبارات عنصرى الأمة العراقيين والأكراد أو الأمة العراقية والأمة الكردية مما كان له طيب الأثر فى نفوس الأكراد وأثلج صدورهم وبشرهم بحياة كريمة وقرب تحقيق أحلامهم المؤجلة قرونًا من الزمان.

واتفق حكام العراق مع البرزانى على أن تتألف الحكومية العراقية ولأول مرة فى التاريخ من عنصرى الأمة وهما العرب والأكراد وتم تصميم شعار الدولة الذى يتكون من السيف والخنجر فالسيف رمز للعرب والخنجر رمز للأكراد.

ولم يستمر شهر العسل الكردى العراقى أكثر من عامين وبضعة أشهر حيث قفز القوميون العراقيون إلى كراسى السلطة ولم يكن ضمن مبادئهم تمزيق الدولة العراقية إلى عنصرين عربى وكردى، فراحوا يعرقلون هذا التوجه ويضربون كل تقارب بين الثورة وبين الزعامات الكردية مع أن زعماء الأكراد دفعوا الكثير فى سبيل كسب ود زعماء العراق من الزعماء الجدد خاصة أثناء فترة حكم عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف لدرجة أن الملا مصطفى البرزانى قدم لهم كبش فداء عربونًا للصداقة والمحبة وهى مساعدته لهم فى قمع ثورة الجنرال عبد الوهاب الشواف الذى قاد انقلابًا عسكريًا فى منطقة الموصل الكردية فاستطاع الأكراد مساعدة القوات المسلحة العراقية فى قمع ثورة الشواف ومكنوا ثوار بغداد من ضرب مستشفى الموصل بالطائرات حيث كان الشواف قد لجأ إليه جريحًا ويتلقى فيه العلاج وقد قتل الشواف أثناء قصف المستشفى بالطائرات.

وكما قلنا لم تستمر سنوات العسل والوفاق بين العراقيين والأكراد وسرعان ما أثبتت السنين تبخر الوعود والأمانى التى بذلها الثوار للأكراد فبعد أن استراح الثوار على الكراسى وأتخمتهم السلطة واستقرت الأوضاع نسوا أو تناسوا المبادئ التى اعتنقوها والوعود التى بذلوها.. ووجد الملا مصطفى البرزانى نفسه خالى الوفاض صفر اليدين وتبخرت بين يديه الوعود والأحلام فلم يجد أمامه إلا السراب فترك سكنى القصور والتقلب على أبسطة النمارق والحرير وقرر العودة إلى الجبال ليقود ثورة الأكراد من جديد..

ومن جديد عاد الصراع بينه وبين الحكومة العراقية التى شنت الحملة تلو الحملة ضده لقمع ثورته خاصة بعد أن وقع الطلاق بين الحكومة العراقية وزعماء الأكراد، وذلك بعد أن استقال المحافظون الأكراد الذين سبق وعينتهم حكومة العراق، كما استقال الوزراء الأكراد

فى الحكومة العراقية. . وعاد ليظهر من جديد جيش البيشى ميرغا (معناها تقدموا إلى الموت) إلى معاقله فى الجبال واشتعلت حرب العصابات من جديد ضد الجيش العراقى.

وكانت بغداد لا تتوانى بين الحين والآخر عن تسريب الشائعات حول البرزانى، فقد أذاعت فى ٢٧/٩/٦١ أن إيران اعتقلت الملا مصطفى البرزانى وأنها تتخذ حاليًا الإجراءات الدبلوماسية لتسليمه إلى العراق، كما نشرت صحيفة الثورة العراقية أنه تم اعتقاله فى مدينة مهاباد فى إيران.

وتأكيدًا لذلك أيضًا نشرت صحيفة العهد الجديد العراقية أن اللواء صالح العبدى الحاكم العسكرى العام فى العراق قد صادر جميع ممتلكات البرزانى وأسرته.

ونشرت الصحيفة أيضًا أن الزعيم محمود عبد الرازق قائد الفرقة العراقية الثانية أكد أن ٢٠٠٠ كردى عبروا الحدود من تركيا إلى العراق للانضمام إلى الثوار البرزانيين كما أن ٥٠٠ كردى آخرين دخلوا العراق من الحدود الإيرانية لهذا الغرض. وقد نفت إيران هذا الخبر.

وفى ١٢ أبريل عام ١٩٦٢ أذاعت الإذاعة العراقية أن الملا مصطفى البرزانى قد تمكن من الهرب عندما حاولت قوة عراقية القبض عليه وأن البرزانى كان قد اشتبك مع القوة العراقية وقد تمكن من الفرار وهو يرتدى الملابس العسكرية العراقية. وفى نفس الوقت أعلن الأتراك أن أكثر من مائة كردى عبروا الحدود إليها طالبين حق اللجوء السياسى وأنها تدرس هذا الطلب.

وعادت العلاقات إلى الهدوء فترة من الزمن بسبب مرض البرزانى من ناحية وبسبب التغييرات السياسية فى بغداد نتيجة الانقلابات المتلاحقة فى تلك الفترة.

وفى ١٧ ديسمبر عام ١٩٦٦ أعلن فى بغداد أن الملا مصطفى البرزانى قد يضطر إلى السفر للخارج للعلاج، وأكدت أن ناجى طالب رئيس الوزراء العراقى قد أرسل بعثة طبية لعلاج البرزانى كما أنه أجرى اتصالاً تليفونيًا معه للاطمئنان على صحته.

وبدأ البرزانى يتماثل إلى الشفاء فى الوقت الذى ساءت فيه العلاقة بين شاه إيران رضا بهلوى وحكومة العراق بسبب النزاع على منطقة شط العرب.

ووجدت الحكومة الإيرانية فى البرزانى رجل الساعة كما وجدت فى ثورة الأكراد فرصة سانحة لضرب العراق واستخدام الأكراد للضغط على حكام العراق بشأن النزاعات القائمة. . وقد استدعى البرزانى لزيارة إيران وأصبح أعداء الأمس أصدقاء اليوم، ونفذ

البرزانى شعاره الذى كان دائمًا يقول فيه: «أتحالف مع الشيطان فى سبيل مصلحة بلادى» وفعلاً تحالف البرزانى مع الشاه الذى كان قد أصدر حكمًا بإعدامه منذ سنوات بعد أن أعدم رئيس جمهورية مهاباد وهرب البرزانى وكان وزيرًا للدفاع.

قدم الشاه للأكراد مبلغ ثلثمائة مليون دولار كما تقول المصادر الكردية ـ وإن كان هذا المبلغ كبيرًا للغاية وفيه شىء كثير من المبالغة ـ أنفق المبلغ المقدم من شاه إيران على تجهيز الجنود الأكراد وشراء الأسلحة والذخائر والمؤن والعتاد والمهمات وتدبير رواتب الجند وكافة احتياجات الحملة العسكرية.. كما أوهم الإيرانيون الأكراد أن الأمريكيين يؤيدون ثورة الأكراد وأنهم على استعداد لتقديم كل العون والدعم المطلوبين ورتب الشاه لقاء بين البرزانى والمخابرات المركزية وقد تم هذا اللقاء فى واشنطن عام ١٩٧٣ وحصل البرزانى على ١٢ مليون دولار من المخابرات المركزية الأمريكية (C.I.A) كما تعهدها بتزويده بالمعلومات العسكرية والإمدادات والمعونة المطلوبة كما تعاونت معه إسرائيل أيضًا وعاد البرزانى ليقود ثورة عارمة استعملت حرب العصابات وشكلت حرب استنزاف طويلة المدى ضد الجيش العراقى ألحقت به خسائر فادحة وهنا فكر العراقيون فى سلاح ذى حدين عندما سعوا إلى التقارب مع شاه إيران الرجل المريض فى ذلك الوقت خاصة وأنه بدأ يعانى من متاعب وقلائل داخلية بفعل الإرهاصات الأولى للثورة الإسلامية ووقعت اتفاقية بين العراق وإيران تنازل العراق بموجبها عن نصف شط العرب مقابل وقف الدعم للأكراد من قبل الإيرانيين.. وبالفعل نفض شاه إيران يديه من المسألة الكردية وأدار لها ظهره فكانت ضربة قاصمة للبرزانى ولقوى الثورة الكردية.

أرسل البرزانى فى ١٠ مارس ١٩٧٣ إلى الأمريكيين قائلاً: «إن خطرًا عظيمًا يحدق بشعبنا ونحن معرضون للإبادة الشاملة» ولكنه لم يتلق ردًا على رسالته.. كما أنه أرسل أكثر من مرة إلى الرئيس الأمريكى جيمى كارتر يطلب لقاءه ولكنه لم يتلق ردًا.

أدرك البرزانى بعد فوات الوقت أنه لم يكن زعيم ثورة بل مجرد مخلب قط فى يد الشاه والمخابرات المركزية الأمريكية.. فانهارت الثورة بعد أن انقطع عنها الدعم والمدد ولجأ البرزانى إلى أمريكا وهناك داهمه المرض الشديد وعاش باقى حياته لاجئًا سياسيًا كما خرج أيضًا شاه إيران يبحث عن ملجأ سياسى آمن يقبله.

ومات البرزانى عام ١٩٧٩ دون أن يتحقق حلمه بعد أن كان قريب المنال منه وذلك بعد كفاح ونضال منذ إعلان الثورة الكردية الكبرى عام ١٩٣٠ بقيادة شقيقه الشيخ برزانى الذى

توفى ثم تولى الملا مصطفى البرزانى الثورة مكانه وقد تعرض لكثير من الأهوال والأخطار ففى عام ١٩٧٠ بعد اتفاقيته مع العراقيين وقعت محاولة اغتيال لأولاد البرزانى، وفى سنة ١٩٧٢ أرسلت الحكومة العراقية ١١ شخصًا من رجال المخابرات على أنهم رجال دين للاجتماع مع مصطفى البرزانى وكان من المتفق عليه أن يفجر رجال المخابرات أنفسهم على طاولة الإجتماع ليتم اغتياله، وفعلاً تمت المؤامرة وفجر العملاء أنفسهم وماتوا جميعًا ومات معهم أحد مرافقى برزانى ولكن البرزانى نجا بمفرده وشاءت إرادة الله أن تكتب له الحياة وفشلت اتفاقية ١٩٧٠ مع العراقيين.

وبعد تسع سنوات يموت البرزانى مريضًا غريبًا منفيًا فى بلاد العم سام بعد أن انفض السامر والسمار وتفرق الأهل والأحباب وانقطع الدعم والمدد وتبخرت الشعارات وتفرق الثوار واحدًا تلو الآخر.

* * *

الوضع الراهن

فى النصف الأخير من القرن العشرين شهدت القضية الكردية تحولات هامة بحكم المتغيرات التى طرأت على الساحة الدولية وأهمها حروب الخليج التى نشبت بين العراق وإيران من ناحية ثم بين العراق والكويت من ناحية أخرى والتى تمخض عنها دخول قوى أجنبية وأطراف خارجية إلى منطقة الشرق الأوسط وتدويل المشكلة العراقية وفرض حصار اقتصادى وعسكرى على العراق ثم تقسيمه إلى ثلاث مناطق منها منطقتان منزوعتا السلاح، واحدة منها هى المنطقة الكردية التى وجدت الفرصة سانحة للحصول على الاستقلال الذاتى لأول مرة تحت حماية المظلة الدولية ووفق الشرعية الدولية التى وجدت هى الأخرى من المشكلة الكردية وسيلة للضغط على الحكومة المركزية فى بغداد ومحاولة إذلالها بتقليم أظافرها بل ببتر أطرافها.

وبعد هزيمة العراق فى حرب الكويت صدر القرار رقم ٦٨٨ بتاريخ ٥/ ٤/ ١٩٩١ عن هيئة الأمم المتحدة وتم تحديد منطقتين للحظر استفاد الأكراد من المنطقة الشمالية. وبدأت الأحزاب والقوى السياسية الكردية تنشط فى المنطقة تحاول هى الأخرى الاستفادة من ممتلكات الرجل المريض الجديد (العراق) وقد ضمت فصائل المعارضة عدة أحزاب منها حزب الدعوة ـ الحزب الإسلامى العراقى ـ الإتحاد الإسلامى لكردستان ـ حركة الوحدة الإسلامية ـ الحزب الشيوعى العراقى ـ الناصريون ـ الحركة الاشتراكية العربية ـ حرب الدعوة وغيرها حيث أنه من الملاحظ ازدياد النشاط الحزبى فى الربع الأخير للقرن العشرين بسبب الوعى السياسى وقفز المشكلة الكردية إلى سطح الأحداث وحركات الاستقلال الوطنى التى تحققت لكل من العراق وسوريا وحدوث بعض المتغيرات السياسية الأخرى مثل صدور دستور ٢٧/ ٧/ ١٩٥٨ فى العراق والذى نص صراحة على ضمانة جميع الحقوق الكردية فى المادة الثالثة منه.

ثم اتفاقية ٩ يونية ١٩٦٦ بين حكومة عبد الرحمن البزاز والملا مصطفى البرزانى والتى أدت إلى تهيئة الأوضاع.

ثم اتفاقية مارس ١٩٧٠ وهى أهم وأشمل نص قانونى يحصل عليه الأكراد منذ تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١ والذى تم على أساسه صياغة قانون الحكم الذاتى للأكراد عام ١٩٧٤.

ودستور ١٦ يوليو ١٩٧٠ الذى نص على أن الشعب العراقى يتكون من قوميتين هما

العربية والكردية، وأقر لأول مرة بالحقوق المصيرية للشعب الكردى ولأول مرة يرد ذكر الشعب الكردى والقومية الكردية، كما أن المادة السابعة من هذا الدستور نصت على أن تكون اللغة الكردية لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية فى المناطق الكردية وأشار الدستور أيضًا إلى مراعاة الكفاءة ومراعاة نسبة السكان فى تولى مناصب القيادة فى الدولة وأن يكون أحد نواب رئيس الجمهورية من الأكراد.

وفى إيران كان لقيام الثورة الإسلامية صدى قوى حيث كان للإمام الخمينى موقف معتدل بل ومشجع لجميع الحقوق الكردية، كما أن الرئيس الإيرانى الحالى محمد خاتمى بعد نجاحه عام ١٩٩٧ أعاد للأكراد وضعهم وحقوقهم واستعان بهم فى أمور كثيرة وعين حاكمًا لإقليم سانانداج هو رجل الدين الكردى الشيخ عبد الله رامز وهو أول حاكم كردى للإقليم منذ ٢٠ سنة وهو فى الوقت نفسه مستشار الرئيس الإيرانى للشئون الدينية.

حتى لبنان الذى كان بعيدًا عن الساحة السياسية دخل هو الآخر النشاط السياسى من خلال العمل الحزبى فتأسس الحزب الديمقراطى الكردى فى لبنان فى عام ١٩٧٠ بقيادة جميل محو وكان فى البداية مواليًا للملا مصطفى البرزانى ثم تحول ولاؤه لحزب البعث العراقى ثم انشق الحزب وتأسس الحزب الديمقراطى الكردى مرة أخرى فى لبنان وقتل رئيسه محمد جميل محو ثم ظهر أيضًا حزب الرزكاردى بقيادة فيصل محرز عام ١٩٧٥ وأصدر نشرة خبات ويقوده الآن وهاج شيخ موسى وشارك فى الانتخابات الأخيرة عام ١٩٩٦، كما أن هناك على الساحة السياسية فى لبنان اتحاد الطلبة الأكراد، جمعية الأرز الكردية، الرابطة الثقافية الكردية، مجلس الأعيان الكردى، رابطة كادا الثقافية، وللأكراد فى لبنان مقعد فى مجلس النواب.

وفى سوريا تم تأسيس التجمع الوطنى الديمقراطى السورى وأصبح يشارك فى الفعاليات السياسية القومية للأكراد، ولكنه فقد اتصاله مع عبد الله أوجلان الذى ولد ابنًا لمزارع كردى سورى والذى نشأ ثائرًا لافتًا للنظر ثم تنقل بين الأحزاب السياسية وأثار الاهتمام بثوريته وتطرفه إذ كان ماركسيًا يعتنق أفكار ومبادئ لينين.

وفى العراق أيضًا تشكلت معارضة داخلية وخارجية لحكم الرئيس العراقى صدام حسين راحت تتعاون مع التيارات والقوى السياسية الكردية، ومن ذلك هروب اللواء رفيق السامرائى قائد الاستخبارات العراقية وانضمامه لحركة المعارضة إلى جانب هروب قائد اللواء ١١٦ إلى كردستان وكذلك هروب حسين كامل مجيد وشقيقه (تم إعادتهما وقتلهما بعد

ذلك فى شوارع بغداد) وكذلك هروب الشيخ محمد باقر حكيم زعيم حزب الدعوة الإسلامى.

وفى مناطق الحكم الذاتى الكردى فى العراق أجريت لأول مرة أول انتخابات لاختيار المجلس الوطنى (البرلمان) لكردستان العراق وذلك فى ١٩ مارس ١٩٩٢ حيث عقد البرلمان الجديد أول اجتماع له فى ٤/ ٦/ ١٩٩٢ وبعد ذلك بشهر تم تشكيل مجلس وزراء كردستان الذى روعى فيه التشكيل النوعى والفئوى لجميع الأحزاب والقوى السياسية العاملة خاصة الإتحاد الوطنى الكردستانى والحزب الوطنى الكردستانى والحزب الديمقراطى الكردستانى. .

ولكن أصبح هناك ازدواجية فى الولاء فالوزير إذا كان من حزب فلابد أن يكون وكيل الوزارة من حزب آخر وتكون له نفس صلاحيات الوزير مع أن كلاً منهما يتلقى أوامره من حزبه. . كما أن ميزانية الأحزاب والمنظمات أصبحت متخمة وأكبر من ميزانية الحكومة وسلطات الأحزاب أقوى من سلطات محافظ الإقليم، والغريب أن جوهر نامق رئيس الوزراء هو أيضًا رئيس البرلمان وهو أيضًا سكرتير المكتب السياسى لحزب الإتحاد الوطنى الكردستانى، ولم يحتمل الأكراد الحرية التى ولدت فجأة، ولا الحكم الذاتى الذى جاء بلا ترتيب وعلى غير انتظار.

فاندلعت فى ديسمبر ١٩٩٣ الحرب الطاحنة بين عناصر الحزب الديمقراطى الكردستانى والحزب الاشتراكى فى مدينتى أربيل والسليمانية.

كما اندلعت معارك أخرى بين أنصار الإتحاد الوطنى الكردستانى والحركة الإسلامية فى ثلاث محافظات وذلك فى ١٨/ ١٢/ ١٩٩٣.

كما اندلع قتال أكبر بين مؤيدى الحزب الديمقراطى الكردستانى والإتحاد الوطنى الكردستانى فى مارس ١٩٩٤ فى جميع مناطق كردستان.

كما نشب قتال آخر بين الإتحاد الوطنى والحركة الإسلامية وقد عقدت لجنة الحكماء المسماة لجنة التنسيق العليا ٥٥ إجتماعًا للتوفيق بين الحزبين الكبيرين المتصارعين على السطلة دون نتيجة.

وقد انحصر الصراع السياسى الآن بين كل من:

* جلال الدين طالبانى أو مام جلال أى العم جلال رئيس حزب الإتحاد الوطنى الكردستانى الموالى للعراق، وكان قد انشق عن الحزب الديمقراطى سنة ١٩٧٣.

* كاك مسعود برزانى أو الأخ مسعود رئيس الحزب الديمقراطى الكردستانى والذى تولى رئاسة الحزب بعد وفاة الملا مصطفى برزانى ويعتبر من الموالين لتركيا وتستخدمه تركيا

لضرب حزب العمال الكردستانى (الكيكيا) وهو منظمة سرية يسارية تمارس حرب عصابات ضد تركيا وكان يتزعمه عبد الله أوجلان الذى سقط مؤخرًا فى يد تركيا وحكمت عليه بالإعدام، وقد أكد جلال الدين طالبانى أكثر من مرة أنه يؤيد عرض تركيا بإقامة وحدة فيدرالية بين الأكراد والأتراك وشكك فى عروض صدام حسين، وقال أنه يريد استخدام الأكراد لضرب الدول المجاورة، ويقول طالبانى أنه التقى بالزعيم الراحل جمال عبد الناصر فى الستينات وتحدث معه طويلاً خلال إقامته فى منفاه فى القاهرة، وأكد طالبانى أن عبد الناصر عبر له عن إيمانه العميق بالحقوق القومية المشروعة للأكراد.

أما فى تركيا فيواجه أكرادها إنتكاسة خطيرة بعد سقوط عبد الله أوجلان الزعيم الروحى لهم ورئيس حزب العمال الكردستانى فى تركيا والرجل الذى دوخ تركيا قرابة ربع قرن من الزمان والذى شن ضد قواتها حرب عصابات مريرة تسببت فى قتل الآلاف من جنود الأتراك، وقد بدأ أوجلان نشاطه الفعلى العسكرى عام ١٩٨٤ مطالبًا بانفصال اقليم كردستان تمامًا عن تركيا.

وينادى أوجلان بكردستان الكبرى المستقلة بعد ضم الأجزاء الأخرى الموجودة داخل إيران والعراق وإقامة الدولة الكردية.

وقد تمكنت تركيا من إلقاء القبض على أوجلان فى مطار ليوناردو دافنشى بروما وكان يحمل اسم (عبد الله ساريكوت) وتم الحكم بإعدامه فى يونيه عام ٢٠٠٠ وتمكنت تركيا أيضًا من الإيقاع بنائبيه وهما جواد صويصال واسمه الحقيقى جميل محمد، وكذلك شمرين صافيق القائد العسكرى الميدانى للحزب وقد واجهت تركيا ردود فعل كبيرة من عناصر الحزب فى محاولة للإنتقام لاعتقال أوجلان ومحاكمته وقد كانت فصائل الحزب تلوذ بالفرار من وجه القوات المركزية التركية وتختبئ فى الجبال فى مناطق كردستان العراق مما حدا بالحكومة التركية إلى إرسال حملات مسلحة تخترق الأراضى العراقية من جهة الشمال فى زاخو وأربيل لتعقب جماعات حزب العمال ووصل الأمر إلى إعداد حملة عسكرية كبرى فى فبراير ١٩٩٩ قامت خلالها تركيا بغزو كامل لشمال العراق.

* * *

وفى إيران

وأخذت حكومة الجمهورية الإسلامية فى إيران على عاتقها مسئولية تحقيق الخدمات الأساسية والحيوية للأكراد وشكلت ما يسمى بكتائب التعمير وكرست سائر الأجهزة الحكومية لخدمة الأكراد ومن الخدمات الضرورية لقراهم ومدنهم النائية مع الأخذ فى الإعتبار عدم التفريط فى السياسة الأمنية للبلاد عملاً بالشعار الذى أطلقه إمام الثورة الإسلامية الإمام الخمينى والذى قال فيه: «إن حساب الشعب الكردى ينفصل تمامًا عن حساب المعادين للثورة» أى أن الرأفة والعطاء للشعب والعقاب والشدة مع المعادين للثورة، على هذا الأساس كانت حكومة الجمهورية الإسلامية تجد نفسها ملزمة بواجباتها حيال أبناء الشعب الكردى، وفى الوقت نفسه يضرب بيد من حديد على رقاب فدائيى كوملة والحزب الديمقراطى فى كردستان وتحمل إيران شعارًا آخر فى مواجهة الأكراد وهو يد تحمل السلاح ويد تحمل معول البناء، بمعنى أن مواجهة أعداء الثورة ضرورة حتمية لا هوادة فيها، ومد يد العون للمواطنين العزل الأبرياء ضرورة حتمية أخرى لا تفريط فيها.

وإيران دائمًا تعمل على إرساء هيبة الحكومة المركزية والجيش الإيرانى يعرف كيف يكشر عن أنيابه وقت اللزوم فتدخل الفئران فى جحورها دون حرب، لذلك لم تشهد كردستان إيران حروب إبادة مثل التى وقعت فى كردستان تركيا، ولا مجازر أو مذابح جماعية كما لم تشهد خطط التهجير الجماعية المعروفة فى تركيا، كما لم يحدث فى إيران مثلما حدث فى كردستان العراق عام ٩٠ ـ ١٩٩١ حينما ضرب الأكراد بالحرب الكيماوية والغازات السامة فى منطقة حلابشة وحتى عندما قامت الجمهورية الكردية المستقلة فى كردستان إيران ثم انسحبت القوات السوفياتية وتعرى ظهر هذه الجمهورية الوليد ودخلها الجيش الإيرانى كل ما فعله القبض على قيادات الجمهورية وتم إعدام ثلاثة منهم، ولم تتم أى أعمال بطش أو قمع أو تدمير قرى أو حرق أو إبادة جماعية أو تمثيل بجثث مثلما يحدث فى الجانب التركى مثلاً.

* * *

كلمة لابد منها

انحصرت زعامة الأكراد على وجه التقريب بين كل من:

* جلال الدين طالبانى رئيس حزب الإتحاد الكردستانى.

* مسعود برزانى رئيس الحزب الديمقراطى الكردستانى، وذلك بعد وفاة الملا مصطفى البرزانى أقوى زعماء الأكراد، وبعد القبض على عبد الله أوجلان زعيم حزب العمال الكردستانى ورجل الأكراد الأول، وقد قبضت عليه تركيا وحكمت عليه بالإعدام رغم أن هناك مساعى دولية جادة لتخفيف الحكم، ويتولى هذه المسألة على وجه الخصوص الإتحاد الأوربى الذى يساوم تركيا على قبول أو عدم قبول عضويتها فى الإتحاد بسبب استمرار عقوبة الإعدام التى ألغتها دول الإتحاد.

وعلى كل الأحوال فإن أوجلان سوف يعدم إما شنقًا وإما سجنًا مدى الحياة، وفى الحالتين يكون قد انتهى دوره السياسى.

وإذا نظرنا إلى الخريطة السياسية فى المنطقة نستطيع أن نقول أن الأكراد لم تسنح لهم فرصة ذهبية لتحقيق أحلامهم القومية مثلما هى سانحة الآن، لأن كل الجبهات التى كانوا يحاربون عليها بالسلاح أو السياسة أصبحت متردية طوعًا أو كرهًا، وأصبحت مستعدة للمطلب الكردى، ففى العراق خدمتهم الأحداث السياسية واستفادوا باقتطاع جزء من أملاك الرجل المريض المحاصر وساعدهم الحلفاء كما ساعدتهم الشرعية الدولية وحصلوا على الحكم الذاتى «مؤقتًا» على كردستان العراق وبقرارات من الأمم المتحدة، وتأسست لهم هيئة وزارية وبرلمان ومحكمة تمييز على غرار المحاكم الدستورية العليا.. ولهم وحدات مسلحة ومدارس عاملة ومستشفيات، كما أن أراضيهم تسيل ذهبًا لوجود أهم آبار البترول فيها.

وفى إيران هيأت لهم الثورة الإسلامية والجمهورية الإسلامية مناخًا ملائمًا سواء بحسن المعاملة أو بالتوجهات السياسية المعلنة على لسان روح الثورة الإمام الخمينى أو خلفائه ومنهم الرئيس محمد خاتمى الذى عين أحد زعمائهم الروحيين مستشارًا له للشئون الدينية وهو منصب له خطورته وأهميته فى دولة مثل إيران، كما عين عبد الله رامز رجل الدين الكردى حاكمًا لمنطقة كردستان إيران، وأبدى الرئيس الإيرانى استعدادًا لسماع كل الآراء والطلبات الكردية.

وفى تركيا كان الرئيس تورجوت أوزال الذى يتمتع برؤية ثاقبة وتوجهاته عثمانية وليست

أتاتوركية، كما أنه يعتبر أن السبيل الوحيد لحل القضية الكردية هو المفاوضات الجادة والحوارات البناءة وليست المواجهات العسكرية أو أعمال التخريب التى يلجأ إليها حزب الكيكيا (حزب العمال الكردستانى) وسبق أن طرحت تركيا فى عهده مشروع اتفاق فى ظل دولة فيدرالية وهناك قنوات اتصال شرعية مستمرة بين الزعيم الكردى مسعود برزانى وبين الرئيس التركى الجديد سليمان ديميريل.

وفى سوريا أيضًا يعتبر وجود الرئيس بشار الأسد انفراجة فى فتح باب التفاهم مع الأقليات الكردية، ولو أن أكراد سوريا يختلفون عن باقى الأكراد باعتبار أنهم يتمتعون بالمواطنة السورية والذوبان فى المجتمع السورى ولا تشكل الأمية عندهم دافعًا ملحًا مثلما هو الحال فى كل من العراق وتركيا وإيران.

بقى شىء هام وهو أن تتوحد فصائل المقاومة الكردية وأن تشكل حكومة كردية إما فى كردستان العراق أو حتى حكومة منفى، وأن يكون هناك تنظيم سياسى واحد على غرار منظمة التحرير الفلسطينية ينضوى تحت لوائه جميع الأحزاب العاملة على الساحة السياسية والعسكرية.

وأن تخرج القيادات الكردية إلى حيز الأضواء بأن تغزو المؤتمرات والمحافل الدولية وأن يكون لها دور فعال فى الأنشطة السياسية الدولية وأن تطرح قضيتها بشكل عصرى على المنظمات الدولية فى إطار شرعية الأمم المتحدة وأن تحفظ للقضية الكردية استمرار «سخونتها» حتى لا يفقد المتحمسون لها حماسهم، وأن يدركوا أنه فى ظل الشرعية الدولية الحالية أصبحت الحلول السياسية هى اللغة الوحيدة المقبولة وأن أساليب حرب العصابات لا تجد آذانًا صاغية أو لا تكون وحدها كافية لإعلان وجهات النظر.

ومطلوب من القيادات والزعامات الكردية أن يحسموا الصراعات والخلافات الكردية الداخلية بينهم وألا يقعوا فى نفس أخطاء منظمات التحرير الفلسطينية ويذكرونا بصراعات ياسر عرفات مع أبو موسى وأحمد جبريل وجورج حبش وأبو نضال وحمامات الدم التى أريقت فيها دماء فلسطينيين أضعاف الذين استشهدوا على يد إسرائيل.

ولأن الخالفات الداخلية تسرق الوقت والجهد والمال وتقتل الأرواح وتصرف أنظار الساحة الدولية عن القضية كما أنها تقلل من شأن الزعامات المحلية.. فالقضية الفلسطينية لم تأخذ مأخذ الجد إلا بقيام منظمة التحرير وانضواء الأحزاب والمنظمات الأخرى تحت قيادتها ثم تحريك القضية الدائم واستمرار الطرح على الساحات الدولية مع التلويح بورقة

الكفاح المسلح ولكن دون الاعتماد عليها فقط.

كما لابد أن تلتصق الزعامات الكردية بقواعدها وألا تفقد جذورها لترتمى فى أحضان بعض الدول حتى لا تفقد شرعيتها ومصداقيتها وقدرتها على التواصل والتأثير الشعبى وحتى يكون لها ثقلها عند التفاوض السلمى.

كما أنه لابد أن يكون للأكراد أطروحات سياسية أو «مشاريع حل» وأن تكون هناك خيارات وبدائل محسوبة وأن يكون لديهم اتفاق سرى على قبول الفاضل حتى يتيسر الأفضل والموافقة على المتاح حتى يأتى الممكن ثم يكون الأمثل..

تلك هى ألف باء السياسة ولابد أن تكون لديهم قيادات سياسية عصرية واعية تتكلم لغة السياسة وليس فقط لغة الرصاص..!

أحمد تاج الدين

المصادر والمراجع

(١) كردستان أمة مقسمة فى الشرق الأوسط، س . س . جافان .

(٢) الأكراد ورسالة الكفاح الإنسانى، مأمون البورسان .

(٣) الأجرومية الكردية، للأب بول بندر .

(٤) كردستان، تأليف طبيبى .

(٥) الكرد، رشيد ياسمى .

(٦) الأكراد منذ فجر التاريخ، محاضرة ألقاها رفيق حلمى على طلبة ثانوية الموصل .

(٧) السفن والملاحة فى مصر، د. على مظهر .

(٨) الأكراد والأتراك والعرب، س . ج . إدموند .

(٩) إيران القديم، مشير الدولة .

(١٠) المشكلة الكردية، حميد رضا جلانى

(١١) قاسم والأكراد، د. أحمد فوزى .

(١٢) كرد وكردستان، للمستشرق الروسى نيكتيين .

(١٣) الإنسكلوبيديا البريطانية .

(١٤) دائرة المعارف الفرنسية .

(١٥) دائرة المعارف الألمانية .

(١٦) مروج الذهب، للمسعودى .

(١٧) معجم البلدان، ياقوت الحموى .

❖ ❖ ❖

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطي شبرا القاهرة
الرقم البريدى — ١١٢٣١

الأكراد

تاريخ شعب وقضية وطن

الأكراد شعب مسلم شديد التمسك بالإسلام شديد الإخلاص له؛ وقد استبسل الأكراد في الدفاع عن الإسلام دفاعاً شديداً، وكانت كردستان دائماً معقلاً مهماً من معاقل الإسلام والمسلمين حيث تصدت أكثر من مرة لموجات الغزو التتري المغولي، وقاومت بعد ذلك تيمور لنك سنة ١٤٠٠م، وعندما حل القرن العشرون واندلعت الحرب العالمية الأولى اشترك فيها الأكراد مع الدولة العثمانية المسلمة، واستبسلوا في الجهاد على الجبهتين القوقازية والعراقية رغم ما ذاقوه من بطش وقمع وهوان على أيدي الأتراك، حيث اتبعوا سياسة التهجير الجماعي والإبادة في محاولة لفرض سياسة التتريك والإفناء.

وفي كل مرة يبعث الأكراد برسالتهم إلى العالم المتمدن الحر.. ولكن لا أحد يسمع أو يرى أو يتكلم.. وخاصة عندما يرى العالم الحر الشعب الكردي وقد أثخنته الجراح، وأوجعته الصراعات الداخلية والخارجية، وسرقه الزمن الذي أفلت من بين يديه دون أن يشعر زعماؤه.

الناشر

ISBN 977-339-030-6
90000
9 789773 390303